اقرأ

الدكتور زاهر رياض

قصة ملكة سبأ
بين الأسطورة والتاريخ



دار المعارف بمصر

قصة ملكة سبأ
بين الأسطورة والتاريخ

الدكتور زاهر رياض

قصة ملكة سبأ

بين الأسطورة والتاريخ

اقرأ ٢١٥

دار المعارف بمصر

اقرأ ٢١٥ – نوفمبر ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ٥ شارع ماسبيرو – القاهرة ج. ع. م.

قصة ملكة سبأ

بين الأسطورة والتاريخ

١

تنص المادة الثالثة من دستور إتيوبيا الذى صدر فى سنة ١٩٣١ على ما يأتى :

« يقرر القانون أن الشرف الإمبراطورى سيظل بصفة دائمة متصلا بأسرة هيلاسلاسى الأول ، سليل الملك سهلاسلاسى الذى يتسلسل نسبه بدون انقطاع من أسرة منليك الأول ابن الملك سليمان ملك بيت المقدس وملكة إتيوبيا المعروفة باسم ملكة سبأ » .

ولم تكن هذه المادة إلا ترديداً لما يعتقده الشعب ـــ دون أن يخالجه أى شك فى هذا الاعتقاد ـــ من أن ملوكه يتسلسلون من منليك الأول ابن ملكة سبأ .

وفى سنة ١٩٥٥ استبدل بالدستور القديم دستور آخر

نصت المادة الثانية منه على أن « يظل العرش بصفة دائمة محصوراً فى نسل هيلاسلاسى الأول ، المتسلسل من الملك سهلاسلاسى الذى هو بدون توقف أو انقطاع من نسل أسرة منليك الأول ابن ملكة إتيوبيا ملكة سبأ من سليمان ملك بيت المقدس » .

ويلاحظ فى نص المادتين أن المحافظة على العرش فى أسرة الإمبراطور هيلاسلاسى الأول إنما تستند على كونه سليلا مباشراً للملك منليك الأول ابن ملكة سبأ الذى أنجبته من سليمان ملك المقدس حين زارته فى مقر ملكه .

ويروى الإتيوبيون لهذه الزيارة قصة تعتبرها الحكومة قصة رسمية ، ضمنتها مع غيرها من قصص الملوك وسيرهم كتاباً هو « كبرانجست » أى سير الملوك ، وتقول هذه القصة :

كانت ماكيدا ملكة إتيوبيا تحكم الحبشة واليمن فترامى لهذه المملكة العظيمة صيت بعيد فى جميع أنحاء العالم . وكانت هذه الملكة واسعة الثروة والغنى تملك الكثير من الذهب والفضة ، والعدد الهائل من الجمال والعبيد الذين يعملون بإرشادها ، وتحت إمرتها ، فى نقل التجارة إلى الهند وأسوان . وكان هناك تاجر كبير يدعى تامارين أو تمر الدين يملك خمسمائة وعشرين جملا ، وثلاثمائة وسبعين سفينة . وعندما سمع

به سليمان الذى كان يحكم بيت المقدس أرسل إليه يدعوه ليحمل له شيئاً من تجارة الحبشة والجزيرة العربية من الذهب الأحمر والخشب الأحمر الذى يعز على السوس ؛ فلبى التاجر الدعوة ، وذهب إلى هناك ، فاشترى منه الملك كل ما عرضه عليه من ثمين العروض ، وأجزل له العطاء . وكان من الطبيعى أن يمكث تامارين فى بيت المقدس بضعة أسابيع شاهد فيها عظمة سليمان وسمع حكمته وأعجب به ، كما أعجب بطريقة حكمه لشعبه ، وحب الشعب له . حتى إذا عاد التاجر إلى ملكته ماكيدا فى الجنوب أخذ يقص عليها بعض ما شاهده وأعجب به من حكمة سليمان الذى كانت كلماته كالماء للعطشان ، والخبز للجائع ، والدواء للمريض ، والكساء للعارى . كما قص عليها أمر هيكله الذى بناه فى بيت المقدس . وكيف كان يستخدم فى بنائه سبعمائة نجار وثمانمائة بناء حتى جعله تحفة تروق للعين ولا تسأم التطلع إليه .

أخذت الملكة تستمع إليه فى سأم أولا ، ثم لم تلبث أن مالت إلى سماع حديثه وأنصتت إليه ، وتطور الحال إلى أن صارت تسأله عن هذا الملك العظيم وتلح فى السؤال ، وقد ازداد إعجابها به ، وزرع الله فى قلبها الرغبة فى أن تذهب إلى بيت

المقدس لترى هذا الملك العظيم وتتزود من حكمته . ولم يكن يثنيها عن عزمها إلا ما تعرفه عن طول الرحلة ومشاقها وما يتعرض له المسافر من أخطار الطريق . على أنها لم تلبث أن أعلنت رغبتها إلى شعبها فوافقها على ما تريد ، فأمرت تمر الدين أن يقوم بأمر الرحلة ، فأعد سبعمائة وسبعة وتسعين جملا وعدداً لا يحصى من الحمير والبغال . وبدأت الملكة ذات اتجاه رحلتها الخطيرة محاطة بكل أسباب العظمة والفخامة .

ولما وصلت إلى هناك استقبلها الملك العظيم ، وأحاطها بكل أسباب الترحيب ، وأفرد لها جناحاً خاصاً فى قصره ، وأمر خدمه وطهاته أن يقوموا على خدمتها ، وأن يجهزوا لها ولأفراد قافلتها كل ما يحتاجون إليه من أسباب الراحة ، حتى لا يشعروا بألم الاغتراب وخصص لها فرقة مكونة من خمس وعشرين مغنية وخمس وعشرين راقصة ، لتقدم لها من ألوان التسلية ما يروح عن نفسها . وزارها سليمان كثيراً فى قصرها ، وأكثر من هذه الزيارة ، لما كان يحسه من متعة الجلوس إليها ، والاستماع إلى حديثها . كما جلست هى إليه واستمعت إلى حديثه ، فشكرت الرب الذى هداها إلى أن تقوم بهذه الزيارة لتسمع حديثه ، وتمتلىء من حكمته . ولمست كيف تشعب علمه ، وشمل جميع أنواع

الفنون ، واكتشفت أنه كان يعرف لغة الحيوان والطير ، وأنه كان يملك قوى يسيطر بها على الأرواح والشياطين التي كانت تأتمر بأمره . وكل ذلك أعطاه الله إياه ، لأنه لم يكن يبغى الشهرة أو الانتصار فى الحرب أو الثروة بل الحكمة وحدها .

استمعت ماكيدا إلى سليمان العظيم وامتلأت من حكمته ، ونزلت كلماته إلى قلبها ، وأخيراً وجدت فى نفسها الجرأة لأن تكلمه عن ديانتها ، إذ أنها كانت وشعبها يعبدان الشمس ، وأنها سمعت عن الله الواحد ، وعن تابوت العهد ، وعن لوح موسى النبى . فشرح لها سليمان قوة الله العلى خالق كل شيء ، مبدع كل شيء ، فسرعان ما اعترفت بقوة الله الأحد ، خالق السماء والأرض .

وأمضت ماكيدا فى هذه الضيافة ستة أشهر زارت فى أثنائها سليمان كثيراً فى قصره ، وزارها سليمان فى جناحها . وأخيراً أرسلت إلى الملك من ينبئه برغبتها فى العودة إلى مملكتها ولو أنها تود أن تمكث مدة أطول . وجالت فى خاطر سليمان فكرة الزواج بهذه الملكة الجميلة الممتلئة بالحكمة ، فأرسل إليها يقول إنها انتوت العودة دون أن ترى طريقة حياته فى قصره . ودعاها لأن تقيم فى هذا القصر لتتم حكمتها ؛ فلبت ماكيدا الدعوة

وانتقلت إلى القصر حيث هيأ لها مكاناً تستطيع أن ترقب منه كل ما يجرى فى القصر دون أن تزعج أحداً أو يزعجها أحد .

وكانت غرفتها مزينة بأبهج وأجمل وأغلى ما عرفه العالم من الجواهر الكريمة والطنافس الفاخرة والأستار الثمينة والذهب الذى كان يجلبه من أوفير ، كما كان الهواء معطراً بالعطور والبخور وزيت المر ، وكان الطعام يحمل إليها محتوياً كل ما فى الدنيا من أطايب الطعام والشراب ، مما جعلها تقبل عليه بنهم كبير ؛ وزاد فى إقبالها عليه ما كانت تحويه المائدة من النبيذ الفاخر والأفاوية التى تفتح الشهوة وتزيد العطش الذى لا يطفئه إلا الإقبال مرة أخرى على الطعام والشراب .

وبعد ذلك جمع سليمان الطهاة فى قصره ، وأمرهم أن يجهزوا طعاماً لكل من بالقصر ، وأعطاهم من مخازنه كل ما هو شهىّ من الطعام والتوابل النفاذة الرائحة . وامتثل الطهاة لأمره . وعند ما أكلت الملكة من هذه التوابل . أكثرت من شرب الماء البارد ليلا ونهاراً دون أن تروى ويطفأ ظمؤها . وفى الليلة الثالثة أمر سليمان سرًّا جميع من بالقصر وخارجه ألا يقدموا لها من الماء شيئاً ، وإلا كانوا عرضة للموت ، وإذا سألتهم عن مكانه فليجيبوها أنه بجوار سرير الملك .

وفى الليل شعرت الملكة بالحرارة فى جوفها ، بسبب ما أكلته من توابل كثيرة ، وأمرت خادمتها بصوت عال أن تأتيها بالماء ، ولكنها لم تستطع أن تقدمه لها ، مما جعلها تدخل القصر وتسأل كل إنسان عن الماء ، وكان كل واحد يجيبها بقوله : إنه بجوار سرير الملك فعادت ورفيقتها إلى سريريهما ، ولكنها لم تستطع صبراً ، وكادت روحها تزهق ، فأسرعت إلى القصر مرة أخرى ودخلت حجرة الملك ، وكان يتظاهر بالنوم فشربت الملكة حتى ارتوت ، واستعادت روحها ، وشعرت أن قوتها قد ردت إليها بعد أن كادت تموت .

وعند ما أرادت الملكة أن تعود أدراجها قفز إليها الملك مسرعاً وأمسكها وقال لها . لقد أصبحت زوجتى وفقاً لقانون الملوك ، فقد جئت إلى حجرة نومى ، وحصلت على شىء ليس لك . هو الماء الذى هو أغلى شىء فى الوجود وعليه تقوم الحياة . فوهبت له نفسها عن إرادة وحرية .

ونام سليمان فرأى فى الحلم شمساً ساطعة ظهرت فى السماء وسارت حتى وصلت إلى إتيوبيا واستقرت هناك ، فسبب له هذا الحلم اضطراباً كبيراً . ولما استأذنت ماكيدا فى العودة إلى شعبها أعطاها سليمان هدايا كثيرة وستة آلاف جمل لقطع الصحراء ،

وسفينة لعبور البحر ، وأخرى لتسافر بها فى الهواء، كان سليمان قد صنعها بإرشاد من الله ؛ وودعها سليمان بعد أن أعطاها الخاتم الذى كان فى أصبعه كى لا تنساه .

عادت الملكة إلى مملكتها وشعبها ، وهناك ولدت ولداً أطلقت عليه اسم ابن الحكيم ، ونشأ الولد صحيح البدن، قويًّا ، عاقلا حكيماً كأبيه .

وحدث أن تحدث يوماً إلى أمه ، وسألها عن أبيه : هل مات فى أثناء طفولته ؟ فأجابته الملكة : أبوك حى : إنه سليمان ابن داود نبى الله وملك أورشليم . وخاتم مملكة أبيك فى حوزتى . سأعطيك إياه حين تكون ملكاً ، وهذه إرادة الله ، وهى لا تنصبّ علىّ ، فالدولة لم تعد لى ، ولكنها لك ، ولك وحدك ، لأنك ابن ملك . فسر الابن بذلك كثيراً وشكر أمه التى قالت له : ابنى العزيز ؛ اجمع لنفسك الجند والهدايا ، وكل ما هو غال وثمين ، واذهب إلى أورشليم تجد أباك وتسمع حكمته ، وهو ينصبك ملكاً . ووضعت فى يده الخاتم الذى أخذته من سليمان .

وخرج الشاب على رأس قافلة كبيرة مجهزة بالجند يقصد قصر أبيه . وعند ما أدخل إلى غرفة سليمان عرفه أبوه وقبله فى

جبهته وفمه وبين عينيه ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأهدى إليه حزاماً ، ووضع على مفرقيه تاجاً ، وفى أصبعه خاتماً ، وأجلسه معه على العرش ، وجعله مساوياً له ، وأطلق عليه اسم منليك . . .

ولم يكن فى نية سليمان أن يعيد ابنه إلى أمه ، فجعل يغريه بالبقاء معه فى بيت المقدس ، حيث تابوت العهد ولوح موسى ، ولكن ذلك كله لم يرغّب ابن الحكيم فى الإقامة ، بل صمم على العودة إلى وطنه ومملكته وشعبه ، بعد أن يحمل قطعة من غطاء تابوت العهد . .

وعند ما تبين سليمان تصميم ابنه على الرحيل جمع أعيان دولته وطلب منهم — ما دام ابنه مصمماً على العودة إلى إتيوبيا ليكون ملكها — أن يرسل كل منهم ابنه البكر معه ليخدموه هنالك كما يخدمون هم أباه ، فوافقوا جميعاً على ذلك .

وأخذ الكهنة منليك إلى الهيكل ، وأدخلوه قدس الأقداس حيث لمس المذبح ، وأعلنه صادوق الكاهن ملكاً باسم منليك ، ثم أركبوه بغلة أبيه سليمان ، وطافوا بين هتافات الشعب وأصوات المزامير والطبول .

وأخذ صادوق يعلمه كيف يحكم شعبه ، كما زوده بأهم ما جاء فى الشرائع ، كما زوّده الملك بكل ما يستطيع أن يحمله معه

من الخيول والعربات والجمال والبغال والحمير محملة كلها بالذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان وغيرها من الأحجار الكريمة ، وبكل ما كان ضرورياً أن يحمله معه ليستعين به فى حكم مملكته . كما تجمع الأبناء الأبكار ليصحبوا ابن ملكهم ويكونوا عوناً له فى حكم مملكته .

وبينما كانت التجهيزات تجرى كان هؤلاء الأبناء يجتمعون ليدبروا معاً أمر مملكتهم الجديدة ، فسرعان ما ظهرت لهم الحقيقة الكبرى ، وهى أن هذه الرحلة بمثابة فراق نهائى لأهلهم ووطنهم ، وهاب أكثرهم أن يترك مدينته أورشليم التى تحتفظ بتابوت العهد والتى يبسط عليها الرب حمايته ، فاقترح عليهم عازار بن صادوق أن يحملوا معهم هذا التابوت ، كما بين لهم الوسيلة التى يستطيعون بها أن يحملوه معهم دون أن يدرى أحد بفعلتهم أو يفطن إليهم ، وهوّن عليهم كل تضحيه فى سبيل غرضهم . وجمع منهم عازار فى الحال مالا ، وذهب إلى نجار وطلب منه أن يصنع له صندوقاً من الخشب أبعاده أبعاد تابوت العهد ، حتى إذا أتم صنعه حملوه سرًّا إلى منزل أحدهم . واستأذن ابن الحكيم والده فى أن يقدم ذبيحة إلى الإله قبل أن يترك بيت المقدس ، ففرح سليمان برغبة ابنه ، وقدم له مائة ثور ومائة بقرة

وعشرة آلاف شاة وعشرة آلاف عنزة ، وكمية هائلة من الدقيق وخبز الشعير . وفى أثناء تقديم الذبيحة حمل عازار وأصحابه الصندوق الخشبى الذى صنعوه إلى المذبح وهناك استطاعوا أن يستبدلوا به التابوت الحقيقى ويحملوه سراً إلى منزل عازار فحفر له وخبأه وجعل على مكانه علامة يستدل بها عليه .

وإذ تم كل شىء استأذن منليك أباه فى الرحلة فقبله ومنحه بركته .

وتذكر سليمان فى اللحظة الأخيرة أن زوجته كانت قد طلبت منه أن يزود ابنه بقطعة من غطاء تابوت العهد ، فأمر صادوق أن يذهب إلى الهيكل ويأتى بغطاء التابوت القديم ويضع بدله غطاء جديداً ، ففعل ذلك صادوق دون أن يكتشف الخديعة ، وأعطى سليمان ولده الغطاء ففرح به كثيراً .

وسارت القافلة تقودها الملائكة وتمهد لها الطريق فى البر والبحر ، وتظللهم بأجنحتها لتمنع عنهم أذى الشمس المحرقة . ولم يجرؤ حيوان أو إنسان على أن يتعرض لهم بسوء ، كما لم يشك أحد منهم متاعب الرحلة أو حر النهار أو برد الليل ، بل كانوا يقطعون فى يوم واحد ما تقطعه القوافل العادية فى ثلاثة وعشرين

يوماً . وفى مصر علم ابن الحكيم بأمر السرقة وأتوه بالتابوت فسجد له فى حين وقف رفاقه يصفقون و يرقصون من حوله ، وقد كشفوا التابوت ورفعوا عنه ما كان يخفيه ووضعوا عليه الأغطية الثمينة ، وساروا به فرحين يهللون ويزمرون حتى لقد تعجب منهم المصريون وزاد عجبهم حين وجدوا تماثيلهم تنحنى وتسجد له إذا ما اقترب منها ! وعند عبورهم البحر حملتهم الملائكة على أجنحتها ، وكانت الأسماك تخرج من الماء وتتجمع حولهم . وطيور السماء تغنى لهم أغانى الفرح والسرور ، حتى وصلوا سالمين إلى حدود إتيوبيا .

ولم يلبث سليمان أن روى لصادوق قصة الحلم الذى رآه وخاف منه خوفاً شديداً فلما سمعه هذا الرجل العجوز اصطكت ركبتاه هلعاً ، وخاف أن يكون التابوت قد مسّه ضر أو خرج من بيت المقدس إلى إتيوبيا ، فسأله سليمان عما إذا كان قد رأى التابوت بعينيه يوم استبدل الغطاء الجديد بالقديم ؟ فأجابه بأنه لم يفعل ، فأمره الملك أن يسرع ليراه . وهناك تبينت له الحقيقة المؤلمة ، حيث لم يجد إلا صندوقاً خشبياً فارغاً ، فأغمى عليه وخر على وجهه . ولما علم سليمان أمر أن يطارد ابنه وجماعته حتى

يسترد التابوت . وسار سليمان بنفسه مع القوة المطاردة بعض الطريق . فلما وصلت هذه القوة إلى مصر ، عرفت من شعبها أن من يبحثون عنهم قد رحلوا عنها منذ تسعة أيام ، فأيقنوا أنهم قد أخفقوا ، وأن التابوت قد خرج من يدهم إلى الأبد ، فعادوا إلى بلادهم يجرون أذيال الخيبة .

ولم يكد ابن الحكيم يصل إلى إتيوبيا . حتى كانت الرسل قد سبقته إليها حاملة إلى أمه أخبار وصوله ومعه تابوت العهد ، فأرسلت إليه من يستقبله ويحمل إليه تحية أمه ، وسارت هي إلى أكسوم مدينة الملك لتستقبله هناك .

وعند ما رأت الملكة التابوت يسطع كالشمس فى كبد السماء خرت على الأرض ساجدة ، وكشفت عن صدرها ، وصفقت بيديها ، وضحكت بصوت عال ، ودارت ترقص حوله رقصة الفرح والسرور ، وأمرت بالذبائح تنحر ، فذبح فى هذا اليوم اثنان وثلاثون ألفاً بين ثور وبقرة وخروف وماعز ، وحمل التابوت إلى حصن قريب ورتب له ألف وثلاثمائة رجل لحراسته .

وبعد ثلاثة أيام استدعت الملكة ابنها ونصبته قائداً ووهبت له سبعة عشر ألفاً وسبعمائة فارس ، وسبعة آلاف وسبعمائة مهر

وألفاً وسبعمائة بغل ، وكلها مطهمة مجهزة بالذهب والفضة ، كما جعلت أعيان الدولة ووجهاءها يقسمون أمامها أن لا ينصبوا عليهم فى المستقبل ملكة ، وأن لا يقبلوا عليهم ملكاً إلا من نسل داود ، فأقسم الجميع فرحين ، ونصبت الملكة عازار كاهناً أعظم ، وتقبل الناس عبادة الإله الواحد ، وصارت منذ هذا اليوم ديانة لإتيوبيا .

وبرغم أنها جعلت أعيان الدولة يقسمون أن لا يضعوا على عرشهم امرأة أبداً ، فإنها لم تترك العرش بل ظلت محتفظة به ، وجعلت همها نشر الشريعة ، وسحق الديانة السبئية القديمة . واستمر حكمها بعد ذلك خمساً وعشرين سنة مملوءة بأنواع المجد ، مما جعل الإتيوبيين يعدونها أعظم ملوكهم ، ويرفعونها إلى مرتبة القديسات . وماتت ولها من العمر ستون سنة ، وكان ابن الحكيم ابنها الوحيد .

وبعد وفاتها جدّد عازار ومن معه العهد لابن الحكيم ، ونصبوه ملكاً عليهم ، وصحبوه إلى المعبد الذى بنته والدته وحفظت به تابوت العهد ، وهناك مسحه بالزيت المقدس وأعلنه ملكاً على كل بلاد إتيوبيا ، فقابله الشعب بالتهليل والغناء ورقصوا ولعبوا

ألعاب الفروسية . وهذه الاحتفالات أقيمت على نفقة الملك واستمرت عدة أيام .

واختار ابن الحكيم لنفسه اسم منليك ، وهو الاسم الذى أطلقه عليه أبوه ، وجعل ينظم مملكته على نحو مملكة أبيه فى بيت المقدس . فعين اثنى عشر قاضياً ليجعل مملكته مثالا لمملكة أبيه .

وتصور لنا الأساطير الإتيوبية منليك هذا ملكاً شجاعاً اشترك فى حروب كثيرة خرج منها جميعاً منتصراً ، فهاجم أعداءه فى زاديا وهاديا ، وانتصر عليهم ، وقتل منهم عدداً كبيراً وخرّب بلادهم ، وسار إلى جعيزا حيث خرب المدينة التى كان يسكنها أناس لهم ذيول كذيول الحمير ، وعاد إلى أكسوم منتصراً .

ثم سار ومعه جيشه إلى سبأ فوصل إليها فى يوم واحد ، والرحلة إليها فى العادة لا تقطع فى أقل من ثلاثين يوماً . وخرّب بلاد النوبة حتى حدود مصر . وقد أوقعت انتصاراته الرعب فى قلوب ملوك مديام ومصر حتى لقد أرسلوا له الرسل والهدايا .

وفى حملة ثالثة تقدم إلى الهند ، فخاف ملوكها منه ، فساروا إليه وقدموا له الهدايا بعد أن سجدوا له وقبلوا دفع الجزية.

وتقول الأساطير إن منليك حكم أربعاً وعشرين سنة ، ومات بالغاً من العمر خمسين سنة بعد أن تزوج سيدة رزق منها ولداً ارتقى العرش من بعده .

٢

وإذا كانت هذه هى القصة الرسمية التى تعترف بها الحكومة والتى ضمنتها — كما ذكرنا — كتاب « كبرا نجست » ، والتى يؤمن بها شعب إتيوبيا — وخاصة شوا وجودجام وأجوامدر — إلا أن هذا لا يمنع أن هناك قصصاً أخرى تؤمن بها شعوب مقاطعات أخرى مثل تجرى ولاستا . وهذه القصص الأخرى تتفق فى كثير من أحداث هذه القصة التى أوردناها ، وتختلف معها فى مواضع أخرى ، إلا أنه اختلاف له مغزاه . ولا بد لنا أن نورد أكثر هذه القصص شيوعاً لنرى مبلغ هذا الاختلاف والغرض منه ، وحينئذ نصل إلى ما نريده من أن نبين نصيب

الأسطورة ونصيب التاريخ من هذا كله .

تقول هذه القصة : لما أراد الله — له المجد — أن يبنى سليمان هيكل الرب فى أورشليم بعد موت أبيه داود بن يسى ، بدأ سليمان فأمر بقطع الأحجار فى أحجام كبيرة ، ولكن العمال لم يكونوا بقادرين على نحتها بالحجم الكبير الذى أراده سليمان إذ انكسرت آلاتهم فى العمل ، وصرخوا إلى سليمان طالبين إليه أن يهديهم بحكمته . ولجأ سليمان إلى الله — مانح الحكمة ليرشده إلى بعض الوسائل ، ثم جمع سليمان الصيادين وأمرهم أن يأتوه برخ ، فأحضروه له ، فأمر بإناء من النحاس ذى ثلاث أرجل يسع هذا الرخ ، وأمرهم أن يضعوا الرخ فى فناء القصر والإناء النحاسى فوقه ، وكانت أجنحة الرخ ظاهرة من تحت الإناء .

وعند ما عادت أم الرخ إلى عشها فى أعلى الجبال ولم تجد ابنها ، جعلت تحوم فوق الأرض باحثة عنه . وجاءت إلى أورشليم حيث رأت ابنها تحت الإناء فى فناء القصر ، ولكنها لم تتمكن من الإمساك به ، وطارت حتى أتت الفردوس فى الجهة الشرقية من عدن ، ورأت فيه قطعة من الخشب كأنما وضعت هناك لتقف عليها . فأمسكت أم الرخ بها . واستمدت من حزنها قوة جعلتها تحملها وتطير بها ، ولا تتركها حتى أتت أورشليم

وأسقطتها على الإناء النحاسى ، وبقوة الله العلىّ انشق الإناء ورأت الأم ولدها ، فأمسكت به وحملته إلى عشها .

عند ما رأى سليمان ورجال دولته ذلك صرخوا بصوت عال ومجّدوا الرب لأنه منح الطير معجزة لا يستطيع بشر أن يفعلها ، وأمر النحاتين أن يأخذوا هذه القطعة من الخشب ويقيسوا عليها أحجام الأحجار التى يريدون قطعها . وحيثما أشارت الخشبة انكسر الحجر كما أراد النحاتون ، وبذلك أصبح عملهم سهلا ، فأيقن سليمان أن الرب قد وهبه بركة ؛ ولما كمل البناء ظلت قطعة الخشب فى الحجرة الأمامية من الهيكل ، ولكن[٦] بطل سحرها وإن ظلت موضع الاحترام والتقديس من سليمان وشعبه . ولأن الله — له المجد — أراد أن تنتقل مملكة داود وابنه سليمان إلى إتيوبيا المباركة أوعز إلى ملكة تلك البلاد أن ترحل إلى أورشليم لتسمع بعض حكمة سليمان ، كما يقول الإنجيل : «ملكة التيمن ستقوم مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان » .

وكانت هذه الملكة فتاة من تجرى تسمى أتيجى أزب ، وهى كلمة معناها ملكة الجنوب ، وكان شعبها يعبدون الثعبان ، وكان على كل واحد من أفراد الشعب أن يهبه ابنته الكبرى

وكميات كبيرة من الخمر واللبن كل عام فى ميعاد معين ، فلما جاء دور والد هذه الفتاة ليفعل ذلك قيدها إلى شجرة خارج المدينة ، ووضع بجانبها كميات الخمر واللبن فى انتظار مجىء الثعبان ، وهناك قدم القديسون السبعة ، وجلسوا تحت الشجرة طلباً للظل ، فسقطت على أحدهم دمعة أرسلتها هذه الفتاة وهى تبكى ، فتطلع إلى أعلى وتطلع بقية القديسين ، فوجدوا الفتاة مقيدة إلى أحد فروع الشجرة ، ففكوا وثاقها وأنزلوها ، وراحوا يسألونها عما إذا كانت إنساناً أم جنياً ؟ فأخبرتهم بقصتها وهى تبكى . فصمموا على إنقاذها ، وجلسوا فى انتظار الثعبان ، حتى إذا رأوه قادماً هجموا عليه ، فأمسك أحدهم بذقنه فى حين قال الثانى : لقد أخافنى ، وصرخ الثالث : فلنقبض عليه ، وهجم عليه هذا الأخير وساعده الباقون . وقتلوه بصليب كان معهم .

وبينما هم يفعلون ذلك طارت نقطة من الدم ووقعت على كعب الفتاة فصارت قدمها قدم حمار . وأسرع القديسون إليها وهيأوها وأرسلوها إلى أهلها فى القرية . ولكن الناس ومعهم أبوها طردوها ظناً منهم أنها قد هربت من الثعبان ، فعادت إلى الشجرة وصعدت مكانها حيث أمضت الليل . وفى صباح اليوم الثانى ذهبت ثانية إلى القرية حتى إذا هموا بطردها من جديد قصت

عليهم قصة الثعبان والقديسين ، وأتت جماعة منهم إلى حيث كان الثعبان مقتولا ، ففرحوا فرحاً شديداً ولم يجدوا أمامهم اعترافاً بجميلها عليهم إلا أن ينصبوها ملكة عليهم ، وجعلوا فتاة أخرى رئيسة لحرسها .

وسمعت أتيجى أزب بعد ذلك عن سليمان ومقدرته الطبية ، وعن قدرته على أن يفعل العجائب ، فصممت على أن تذهب إليه ليعيد قدمها إلى حالتها الأولى .

وكانت شهرة سليمان قد طارت إلى أقصى الأرض ، لأنه كان يعامل تجاراً كثيرين يأتون إليه من جميع بلاد العالم ، ومنها هذه البلاد التى تقع على شواطىء البحر الأحمر ، وقد جلبوا إليه من هناك الأشجار الثمينة والعطور الغالية والبهارات والأقمشة الرفيعة الغالية بل أتوا إليه بكل ما هو ثمين ليزين به هيكله وقصره .

وعند ما كانت هذه القوافل تعود إلى بلادها أو غيرها من البلاد أخذ من اشترك فيها يصفون لأهلهم ومستمعيهم العمل العظيم الذى كان سليمان يقوم به فى أورشليم . ومن بين رؤساء هذه القوافل تاجر يدعى تامارين ، كان متعهداً لمطالب ملكة الجنوب يحملها إليها من كل البلاد التى يذهب إليها، كما يحمل إليها بعض أخبار هذه البلاد ،

فسعمت ما رواه تامارين قائد قافلتها عن سليمان ، فصممت على أن تذهب إليه .

فقامت قافلة كبيرة تنكرت فيها الملكة ورئيسة حرسها فى زى غلامين وسافرا إلى بلاط سليمان فى أورشليم .

وعند ما وصلت الملكة إلى أورشليم وسمع سليمان بوصولها ، وكان قد سمع عن قدمها ، دبر حيلة ماكرة يستطيع بها أن يرى هذه القدم دون أن يسألها أن تريه إياها ، فوضع عرشه فى أحد جوانب البهو فى الهيكل ، وأمر أحد عبيده أن يفتح ميازيب المياه حتى غمر أرض المكان بالماء ، ووضع فوقها الخشبة التى حملها الرخ من الفردوس . ولم يفهم أحد ممن حوله حكمة هذا العمل . فلما وصلت الملكة إلى باب الهيكل ترجلت عن دابتها وهمت بالتقدم إلى بابه ولكنها تراجعت وكادت تعاود امتطاء دابتها ظناً أنها أخطأت المكان ، ولكن من معها أفهموها أن هذا هو باب الهيكل الذى لا يدخله أحد راكباً . وعاونها خدمها على الدخول ، ومدت يدها وشمرت عن ساقها ، وبذلك رأى سليمان القدم دون أن يسألها . ثم مدت قدمها فمست قطعة الخشب ، فتحولت بقوة الله إلى قدم طبيعية كالأخرى . فحل بها خوف عظيم ، ولكنها فرحت وتقدمت وخاضت الماء رافعة أثوابها ،

حتى وصلت إلى حضرة سليمان ، فأخبرها أنه أمر بوضع الماء عمداً ليجعلها تكشف عن ساقها فيرى قدمها . وأمر سليمان الماء أن يجفف ، فظهرت الخشبة السحرية ، فقص سليمان قصتها على الملكة فقدمت لها احترامها ، وخلعت عقداً غالياً من جيدها وزينتها به ، مما جعل سليمان يزينها بعقد آخر . ويجعل لها مكاناً خاصاً في الهيكل . وأصبح من عادة خلفاء سليمان كلما أتوا إلى الهيكل للصلاة — أن يزينوا قطعة الخشب بحلقة من فضة .

وبدأ سليمان فقدم للملكة كل فروض الاحترام ، وجعلها ورفيقتها وحاشيتها وجنودها يقيمون فى قصر بجوار قصره ، وكان يزورها كل يوم كما تزوره ، لتسمع من حكمته وتتعلم منه .

وتمضى القصة بعد ذلك متفقة مع القصة الأولى حتى تصل إلى زواجها من سليمان ، وتذكر كما ذكرت القصة الأولى أن هذا الزواج تم عن إرادة وحرية طبقاً لقانون الملوك . ولكنها تختلف عنها فى ذكر أن سليمان قد اضطجع مع خادمتها كما اضطجع معها ، وأعطى كلاً منهما قطعة من الفضة [illegible] ومرآة ، وقال لهما : إذا كان المولود بنتاً فلتحمل قطعة الفضة وتأت إلىّ ، أما إذا كان ولداً فليحمل الخاتم . ثم عادت الضيفتان إلى بلدهما وولدت كل منهما ولداً .

وتحمل الرغبة الولدين على أن يطلبا رؤية والدهما ، فأرسلتهما الملكة إليه . ولكن القصة تذكر أن الملكة أعطت ولدها الخاتم والمرآة في حين نسيت الأخرى أن تعطى ولدها المرآة .

وخرج الشابان معاً على رأس قافلة كبيرة مجهزة بالجند يقصدان قصر أبيهما . ولما وصلا إلى القدس ، وعلم سليمان أن هناك ولدين يزعمان أنه أبوهما ، أمر بتأخيرهما ثلاثة أيام وفى نهايتها أعار واحداً من أصدقائه ملابسه الملكية وأجلسه على العرش ، ولبس هو خرقاً ممزقة وذهب إلى الإسطبل وأخذ يرقب كل شيء من بعيد . ثم أمر الشابين أن يدخلا إلى قاعة العرش فتقدم ولد الوصيفة أولاً وقبل يد الجالس على العرش وهو يحسبه أباه فى حين ظل ابن الملكة المسمى منليك واقفاً من بعيد دون أن يقدم فروض الطاعة . وأخيراً تقدم وهو ينظر فى المرآة التى أعطته إياها أمه ، فرأى ملامحه كما تظهر فى المرآة مختلفة تماماً عن ملامح الجالس على العرش ، فأيقن أنه ليس أباه الملك ، فأخذ يتجه يميناً وشمالاً بحثاً عنه ، وهو لا يجد أحداً يشبهه ، وبعد مدة رأى سليمان ينظر إليه من وراء باب الإسطبل ، فعرفه لساعته ، فذهب إليه وقدم له فروض الطاعة ، فصرخ سليمان : هذا ابنى . . . الحقيقى . . . والثانى هو ابنى أيضاً

ولكنه غبي . وأراه ولده الخاتم الذى أخذه من أمه الملكة ، فلما شاهد سليمان الخاتم تأكد أنه ولده ، وغمره فرح عظيم ، واحتضنه وصرخ قائلا : مرحباً بابنى الحبيب ، أنت ابن داود . ووضع سليمان تاج أبيه على رأسه وأجلسه على عرش داود أبيه .

وضرب أصحاب الطبول طبولهم ، ونفخ أصحاب الأبواق أبواقهم وصرخ المعلنون قائلين : هذا داود بن سليمان بن داود ملك أورشليم ، وسمع هذا الأمر خارجاً ، وانتشر بين جميع قبائل أورشليم أن ابن سليمان من ملكة الجنوب قد أتى إلى أبيه وأن سليمان قد توجه ملكاً ليجمع مملكة داود أبيه ، وأجلسه على غرشه .

ولكن سرعان ما تبين الناس أن الابن والوالد كثيراً ما كانا يختلفان فى أحكامهما القضائية وحينئذ أبدى الشعب رغبته فى أن لا يحكمه ملكان ، وأن على سليمان أن يعيد ابنه إلى دولته . وصارح سليمان ابنه بذلك فطلب منه أن يسألهم : أليس هذا ابنى البكر ؟ فإذا وافقتم فسأرسله إلى دولته إذا رضيتم أن ترسلوا معه أبكاركم . ورضى الناس بذلك ، وأخذ سليمان يجهز لابنه رحلته .

وكان فى الهيكل الذى بناه سليمان تابوت عهد الرب وفى داخله لوحا الحجر اللذان كتب الله فيهما بأصابعه وصاياه ،

وعصا هارون ، ولوحا مانا . وكان هذا التابوت مغطى بصفائح من الذهب وملفوفاً بلفائف من القماش المطرز بالذهب .
وكانت هناك معجزة يراها الشعب كله ، وهى أنهم إذا انتهوا من ضراعاتهم فى أثناء صلاة الكهنة ومثول الشعب أمام الرب مدبر الكون ، يرتفع التابوت عن الأرض فيعلم الناس أن تضرعاتهم قد قبلت ، فإذا لم يرتفع أيقن الكهنة أنهم قد ارتكبوا شيئاً . أو ارتكب الشعب شيئاً يستحق المؤاخذة . ويأخذون فى البحث عن مرتكب هذا الشيء ليعاقبوه ، حتى إذا تم ذلك ارتفع التابوت ، فكان ذلك بمثابة انصراف غضب الرب .
وحدث أن ذهب ابن سليمان إلى الهيكل للصلاة ، ورأى التابوت وقد ارتفع ، الشيء الذى لا يستطيع عقل بشر أن يفهمه فسر من ذلك ، وصمم على أن يحمله معه إلى مملكته ، وأعلن ذلك لسليمان أبيه ، وقال له سأحمل تابوت عهد الرب إلى مملكتى . فأجابه : يا بنى العزيز ، إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ، فليس هناك من يستطيع أن يحمله إلا من كان كاهناً .
وإذا مسه غير كاهن ذهبت طهارته حالا . هذا إلى أن الشعب ليس له حام من أعدائه سوى تابوت عهد الرب . ولكن هذا الكلام لم يقنع الابن وقال لأبيه : أنا لا أسألك ذهباً ولا فضة ، لأنه كثير فى مملكتى ؛ ولا أسألك إلا هذا التابوت . كى

يصونني في رحلتي ، ويسند دولتي وجندي . فأجابه سليمان : إذا كانت إرادة الله قد قضت أن تأخذه ، فسيكون ذلك ميسوراً لك . ولكن إذا كنت ستحمله معك فلا تجعلني أعرف ذلك ، ولا تودعني لأن الكهنة وأبناء الشعب جميعاً سوف يسألونني عنه ويجعلونني أقسم على ما أقول ، ولن أقسم لهم إلا صادقاً .

ودعا الابن سرًّا صانعاً وكلفه أن يعمل صندوقاً خشبيًّا . مقاييسه هي نفس مقاييس الصندوق الذي فيه التابوت . فلما أتم عمله نقاه ليلاً ، ودعا صناعاً آخرين وكلفهم أن يضعوا عليه الذهب كما في صندوق التابوت ، وقتلهم جميعاً ، كما قتل الصانع الأول. ثم غطى الصندوق الجديد بأقمشة مطرزة بالذهب تشبه أقمشة الصندوق الأول . ولم يعلم سليمان عن هذا كله شيئاً. ودعا الابن أربعة من الكهنة ليصلوا له قبل رحيله . وأقنعهم بعد أن أعطاهم ذهباً كثيراً ورشوة كبيرة كي يساعدوه في كل ما يريد .

وفي ليلة رحيله جاء الكهنة ليودعوه ، فأخذهم إلى مسكنه ليصلوا له ، فلما اختلى بهم أمر فقيدوا بقيود من حديد ، ثم أمر جنوده أن يصعدوا ويرحلوا دون أن يعلنوا الرحيل. وأخذ معه حفنة

من رجاله المخلصين مزودين بالحراب ومعهم هؤلاء الكهنة إلى الهيكل ، وأمر الكهنة أن يحملوا التابوت ويجعلوا الصندوق الذى صنعه مكانه ، وخرج من المدينة ليلا ومعه التابوت يحمله الكهنة ولم يودع والده ولم يعلمه برحيله . وحدث كل ذلك بإرادة الرب له الشكر لحمايته التابوت المقدس . كى يسكن إلى الأبد فى مملكة داود كما وعد الله داود أن يجلس نسله على العرش إلى الأبد .

وفى الصباح ذهب الكهنة والشعب إلى الهيكل ليقيموا الصلاة ، وبعد ما انتهى الكهنة من تضرعاتهم لم يرتفع التابوت فى الهواء كما كان يحدث من قبل ، بل لم يتحرك من مكانه ، فظنوا أن أحداً قد أخطأ ، وأمروا بالصوم والصلاة ثلاثة أيام . وداروا يبحثون بين الناس عمن يكون قد ارتكب الإثم ، ولكنهم لم يجدوا أحداً . فذهب الكهنة إلى التابوت وكشفوا عنه الغطاء . . . فأى مصيبة وأى نكبة ! وأى رعب وأى حزن حلّ عليهم بسبب ما اكتشفوه من عدم وجود التابوت ، وما معه من أشياء مقدسة !

وعند ما تأكدوا أن ابن سليمان هو الذى أخذه بحثوا فعرفوا الكهنة الناقصين ، لأنه كان قد أخذهم معه ، فأيقنوا أنهم الخطاة . وعندئذ ذهب الكهنة والشيوخ إلى سليمان الملك ،

وكانوا جميعاً يصرخون ويولولون من الحزن بسبب ضياع التابوت المقدس، فقالوا لسليمان أنت الذى أمرت ولدك أن يأخذ التابوت ، فبكى سليمان وأقسم لهم أنه لم يسمح لولده بذلك ، ولم يودعه ، ولم يعلم شيئاً عن سفره . فأجابه الكهنة والشيوخ . قائلين : حفظ الله الملك ، إذا كان ذلك قد حدث دون إذنك فأرسل جندك المسلح لتطارده وتستعيد التابوت . وتعيده إلى مكانه المقدس . وفعل سليمان ذلك وأعطاهم مالاً ومؤونة . وخرجوا فى طلب الشاب فساروا أربعين يوماً ، ووجدوا تجاراً فى الطريق ، فسألوهم عما إذا كانوا قد رأوا التابوت ، فأجابهم التجار أنهم قد رأوا ملكاً عظيماً ، وجنوده الكثيرين ، وأن الصندوق كان معهم ، وأنهم يسيرون كسحاب يدفعه ريح قوى . وأخبرنا سكان القرى التى مررنا بها أنهم ساروا منذ أربعين يوماً . فعاد الجند يملأ الحزن أفئدتهم ، ولكن هذا الحزن لم ينفعهم شيئاً . وأخيراً وصل الشاب إلى مملكته سالماً ، وقابلته أمه ونزلت عن عرشها وجلس هو ملكاً على عرش داود أبيه . وبذلك أصبحت مملكة إثيوبيا تتبع عرش داود إلى الأبد . واستقر التابوت هناك .

٣

لعل أول ما يلاحظ فى هاتين القصتين اتحادهما فى الهدف وفى أجزاء كثيرة منهما ، وإن اختلفا فى اللفظ وفى بعض التفاصيل

ولعل أولى نقاط هذا الاختلاف تجاهل القصة الأولى للمقدمة التى تشير إلى الثعبان الذى كان يعبده أهل تجرى ، وتقديم الأهالى له الفتاة واللبن والخمر كل عام . ولعل هذا الجزء أيضاً هو أقرب أجزاء القصة إلى الخرافة ؛ وظاهر أنه وضع من أجل إيجاد سبب لقيام الملكة برحلتها إلى أورشليم . وقصدت القصة إلى الهدف مباشرة ، وهو رغبة الملكة فى تعلم الحكمة من سليمان كغرض أساسى وحيد .

أما اختلاف القصتين من حيث عبادة أهل إتيوبيا للحية فى القصة الثانية أو الشمس فى القصة الأولى ، فليس بذى بال ، ما دام الشعبان وثنيين تهديهما الملكة بعد زيارتها لسليمان إلى عبادة الله الواحد .

ونقطة أخرى من نقاط الاختلاف ، وأكثرها وضوحاً ، هو تجاهل القصة الأولى لهذه الفتاة الثانية التى صحبت الملكة فى

رحلتها . وإنجابها ولداً آخر من سليمان . ولا بد أن واضعى القصة الثانية قد هدفوا من وراء وضع هذا الجزء إلى غرض معين سوف نبينه فيما بعد .

ونقطة ثالثة من نقاط الاختلاف أيضاً ، وهى إصرار القصة الأولى على إظهار ابن الحكيم بمظهر غير السارق أو القاتل ، فأصحابه من أبكار الرجال هم الذين دبروا أمر السرقة دون أن يعلم بها منليك ، ولم يعرف خبرها إلا فى مصر فلم يسعه إلا التسليم بها.

ونقطة رابعة من نقاط الاختلاف أيضاً ، هو العهد الذى أخذته الملكة على شعبها بعد عودة ولدها من عند أبيه أن لا ينصبوا عليهم ملكة فى المستقبل ، بل أن يكون كل من يتولى الملك فى بلادهم من الذكور ، ومعنى ذلك ولا شك عدم الاعتراف بأى ملكة ترقى العرش باعتبارها مغتصبة له ، وبالتالى اعتبار كل من يلى العرش من أبناء هذه الملكة ملوكاً غير شرعيين .

ونقطة خامسة أيضاً تتمسك بها القصة الأولى ، هى هذا الحلم الذى رأى فيه سليمان الشمس تنتقل من فوق مملكة أورشليم إلى إتيوبيا واستقرارها فيها .

ومن الطبيعى أن هذه الاختلافات لم توجد عبثاً ، ولم توضع

فى إحدى القصتين دون الأخرى دون سبب أو غرض ، مما سوف نبينه .

والآن نعود إلى دراسة القصتين بصفة عامة .

أما زيارة ملكة سبأ لسليمان ملك بيت المقدس فهى حقيقة تاريخية لا سبيل إلى الشك فيها ، فقد جاء فى الإصحاح الرابع من سفر الملوك الأول كيف أعطى الله سليمان حكمته . حين قال « وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطىء البحر ، وفاقت حكمة سليمان جميع بنى الشرق ، وكل حكمة مصر ، وكان أحكم من جميع الناس ، من أتان الأزراحى ، وهيران وكلكول ، ودردغ ابن ماحول ، وكان صيته فى جميع الأمم حواليه ، وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفاً وخمساً ، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا التى تنبت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم ، وعن الطير ، وعن الدبيب ، وعن السمك ، وكانوا يأتون إليه من جميع الشعوب ليسمعوا من حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا عن حكمته » .

وقد وهبه الله هذه الحكمة حين ألح فى طلبها وفضلها عن كل ذهب الأرض ، بل فضلها على طول العمر ، وعلى السلطة

التى تمكنه من قهر أعدائه .

كما جاء فى الإصحاح العاشر من نفس السفر خبر هذه الزيارة . فقد قال : « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل كثيرة ، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا بجمال حاملة أطياباً، وذهباً كثيراً جدًّا وحجارة كريمة ، وأتت إلى سليمان ، وكلمته بكل ما كان فى قلبها ، فأخبرها سليمان بكل كلامها ، ولم يكن أمراً مخفيًّا عن الملك لم يخبرها به . فلما رأت الملكة سبأ كل حكمة سليمان ، والبيت الذى بناه ، وطعام مائدته ، ومجلس عبيده ، وموقف خدامه وملابسهم ، ومحرقاته التى كان يصعدها إلى بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد ، فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذى سمعته فى أرضى عن أمورك وعن حكمتك ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناى، فهوذا النصف لم أخبر به. فقد زادت حكمتك وصلاحك عن الخبر الذى سمعته . طوبى لرجالك ، وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً ، السامعين حكمتك ، ليكن مباركاً الرب إلهك . الذى سر بك وجعلك ملكاً لتجرى حكماً وبرًّا، وأعطت الملك مائة وعشرين وزنة ذهب . وأطياباً كثيرة جدًّا وحجارة كريمة . ولم يأت مثل ذلك الطيب فى

الكثرة الذى أعطته ملكة سبأ . للملك سليمان .وكذلك سفن حيرام التى حملت ذهباً من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل ودرابزينا لبيت الرب . وبيت الملك . وأعواداً وربابا للمغنين . ولم يأت ولم ير مثل خشب الصندل . ذلك إلى هذا اليوم . وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ كل مشتهاها الذى طلبت عدا ما أعطاه إياها حسب كرم الملك سليمان . فانصرفت وذهبت إلى أرضها هى وعبيدها» .

كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من نفس السفر أن جميع الملوك كانوا يقصدونه ابتغاء سماع حكمته حين قال : « وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان لتسمع حكمته التى جعلها الله فى قلبه » .

وتتكرر القصة فى أخبار الأيام الثانى . ويكاد النصان يتفقان فى الكلمات ، ولكنها فى الثانى تزيد عن الأول فى وصف قصر سليمان وآنيته ومركباته وخيوله .

كما ذكرت هذه الزيارة فى العهد الجديد فى موضعين ، وهما الآية الثانية والأربعون من الإصحاح الثانى عشر من إنجيل متى « وملكة الجنوب ستقوم مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان » ، والآية الواحدة

والثلاثون من الإصحاح الحادى عشر من إنجيل لوقا « ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع رجال هذا الدين وتدينهم لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ها هنا » .

وذكرت هذه القصة فى القرآن الكريم أيضاً فجاء فى سورة النمل : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين . وتفقد الطير فقال مالىَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد ، فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون

للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون. قالت يا أيها الملأ إنى ألقىَ إلىّ كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم .ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين . قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانىَ الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ، قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها . قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن . أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب ، أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلما رآه مستقراً

عنده قال هذا من فضل ربى ، ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت : ربى إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

٤

ولكن من هى ملكة سبأ التى ذكر كل من العهد القديم والقرآن الكريم أنها أتت إلى سليمان ؟ ومن هى ملكة الجنوب التى جاءت فى إنجيل متى أو ملكة التيمن كما جاء فى إنجيل لوقا ؟ وما علاقتها بإتيوبيا ؟ وماذا كانت نتيجة زيارتها لسليمان ، غير هدايتها وتركها الوثنية إلى التوحيد على ما يذكر القرآن ؟

الجواب عن هذا لم تذكره المصادر الدينية ، ولكن تتكفل به القصتان الإتيوبيتان لتصلا به إلى الهدف الذى أرادتاه من أن ملك إتيوبيا هو ابن سليمان ملك بيت المقدس .

ولكنا نعرف أن سبأ جزء من اليمن لا من إتيوبيا ، وأنها كانت تكون جزءاً من مملكة معين ، وكانت هذه الأخيرة — بحكم طبيعة بلاد اليمن الجبلية — مقسمة إلى ولايات تنحصر كل ولاية فى واد من أودية اليمن ، وكان يتولى كل ولاية ملك يتبع ملك معين ، ويدين بالطاعة له ، وذلك فى الفترة ما بين سنة ١٢٠٠ و ٦٥٠ ق . م .

بدأت سبأ تظهر منذ القرن العاشر ، ولكنها بدأت تعظم وتقوى حين أخذت معين تضعف حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد . ولا تمدنا المصادر التاريخية بأسباب ضعف معين وقوة سبأ ، ولكنا نعلم أن التجارة كانت المصدر الرئيسى لثروة كل من معين وسبأ ، فقد امتد نشاط اليمنيين التجارى إلى الخليج الفارسى وإلى أعالى بلاد الحجاز مما يلى سواحل البحر الأحمر ، وأنهم كانوا يحملون أنواع البخور من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية . فلا بد أن نشاط التجار السبئيين قد فاق نشاط التجار فى أجزاء مملكة معين الأخرى ، مما مكنهم ومكن ملوكهم من اقتناء ثروة زادت من قوتهم ؛ وربما كان خصب سبأ واشتغال

أهلها بالزراعة إلى جانب التجارة قد مكنهم من زيادة ثروتهم حتى استطاعوا أن يرثوا دولة معين فى القرن السابع قبل الميلاد ؛ وأخذت قوتها تكبر ونفوذها يمتد حتى تسلطت على ما جاورها من القلاع والمخاليف . وكانت مأرب عاصمتها . تمتد إلى مسافة مائة وستين ميلا شمالى شرقى بلاد اليمن . ومن أجل الزراعة وإقبالهم عليها واهتمامهم بها بنوا سداً كبيراً لحجز مياه المطر . وما كشفت عنه الحفريات الحديثة من هذا السد يدل على أنه كان متين البناء له فتحات كثيرة علاوة على سلسلة من الصهاريج الجبلية التى تغذيها ينابيع الماء . وقد كان لسبأ فى عهد قوتها أسطول قوى يمخر البحر الأحمر ليحمل البخور واللبان إلى الهياكل المصرية . ولكن لم يلبث الضعف أن تسرب إلى هذه المملكة الغنية ، فأهملت الاهتمام بالسد والصهاريج مما كان سبباً فى تصدعه وتخريبه ، فكان من أثر ذلك أن عجز الأهالى عن زراعة أراضيهم إلا لفترة بسيطة هى التى تلى فترة المطر الصيفى ، فعمتها المجاعات فى أوقات كثيرة حتى اضطر أهلها إلى الهجرة والتفرق فى البلاد المجاورة ؛ ومن ثم أخذت بلاد أخرى كانت تابعة لها تتفوق عليها وتقبض على زمام السيادة . ويذكر المؤرخون أن ذلك كان فى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد ، حين أخذت

حمير تظهر .

ويذكر المؤرخون أن ملوك سبأ لم يحملوا لقب الملك قبل القرن السابع ، وأن ملكهم كان يسمى « مكرب سبأ » وقد تلقب بهذا اللقب نحو سبعة عشر ملكاً . وكانت كلمة مكرب تعنى تابعاً .

والشيء الثابت أن مملكة سبأ . وإن اتسع نفوذها — لم تمتد فتعبر البحر الأحمر مطلقاً ، فلا نستطيع أن نقول إن إحدى ملكات هذه الدولة قد امتد نفوذها فشمل إتيوبيا حتى يقول الإتيوبيون إنها كانت ملكة لهم .

ولكنا نعرف أن دولة أكسوم قد امتدت فى أوقات كثيرة فعبرت البحر وشملت أجزاء من اليمن ، فهل نستبعد أن تخرج مملكة سبأ فى القرن العاشر قبل الميلاد عن سلطة ملوك معين لتدخل فى سلطة ملوك أكسوم ؟ إن لدينا أكثر من دليل على اتساع دولة أكسوم وعبورها البحر وشمولها أجزاء من اليمن فى أوقات كثيرة من تاريخها ، فقد قويت مملكة أكسوم بعد انحلال مملكة نباتا فى الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد بفضل اشتغالها بالتجارة ، وامتد نفوذها حتى شملت سبأ ، وأقام ملوكها نصباً تذكارياً يشهد بفضل الإله محرم السبئي ،

على ما أولاهم من نصر على مملكة سبأ .

كما تدلنا النقوش التى كشفها ونشرها الأستاذ ليتمان سنة ١٩٠٥ على أن ملكاً لا يذكر النقش اسمه كان يعيش فى أكسوم فى النصف الثانى من القرن الأول بعد الميلاد قام بجملة فتوحات غزا فى الأولى منها شعب الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية كما غزا عجامى وسجايت وعدوة وغيرها من البلاد التى تقع فى الركن الشمالى الشرقى من الهضبة الحبشية ، وكانت غزوات مستمرة آخرها هذه الغزوة الكبيرة التى أرسلها عبر البحر الأحمر ليؤدب الحميريين وجميع الشعوب التى تسكن جنوب الجزيرة العربية حتى عدن ، لأنهم كانوا قد اتخذوا حرفة لهم نهب التجارة الأكسومية التى تسير فى البحر الأحمر أو جنوب الجزيرة العربية صوب حضرموت .

وإن هذا النقش الذى عثر عليه ديتمبرجر عن ملوك أكسوم يقول : « قد تملكت الشعوب التى تعيش بالقرب منى لأحافظ على السلم ، فقد غزوت شعوب (كذا وكذا) واقتسمت معهم أملاكهم ، وعبرت النيل ، وغزوت الشعوب التى تسكن على الناحية الأخرى التى تتحصن فى الجبال العالية المغطاة بالثلوج ، والتى يغوص فيها الإنسان حتى ركبتيه ، كما تسلطت على جميع

الشعوب التى تجاورهم حتى وصلت إلى حدود مصر ، وهناك أسرت جميع رجال هذه القبائل ونساءهم وأولادهم وبناتهم ، كما استوليت على جميع ممتلكاتهم ، ومن بقى منهم رضى بالخضوع لى ، كما رضى بدفع الجزية ، كما أرسلت حملة بحرية لمحاربة الأرابيت الذين كانوا يقطنون الضفة الأخرى من البحر الأحمر وقوضت عروشهم هناك . وأرغمتهم على دفع الجزية عن أرضهم ولقد حاربتهم ابتداء من بلاد ليكوكومى حتى أراضى السبئيين وساعدنى الإله العظيم القوى لأخضع لسطوتى جميع الشعوب التى تجاورنى من الشرق إلى أقصى ما تمتد الأرض ، ومن الغرب إلى أبعد ما يراه الإنسان. وأخيراً عدت إلى عدول حيث قدمت قرابين الشكر إلى أريوس وأرس وبوسيدون . بعد أن استرجعت جيوشى وجمعت شملهم جئت إلى هذا المكان وشيدت هذا العرش ، وكان ذلك فى السنة السابعة والعشرين من حكمى » .

وظلت إتيوبيا فى القرن الثالث الميلادى دولة قوية تشرف على البحر الأحمر عن طريق ثغر عدول ، وترسل سلع التجارة التى تزخر بها إلى غيرها من البلاد وخاصة بلاد الدولة الرومانية الشرقية عن طريق هذا البحر حيناً وعن طريق البر الذى يمر بمكة ويثرب حيناً آخر فكان يعنيها أن تسيطر على هذه الطرق ،

كى لا يعترض طريق التجارة معترض ما . وكانت اليمن وسبأ تكونان جزءاً من هذا الطريق الذى يعنى إتيوبيا السيطرة عليه والتحكم فيه .

وهناك من يقول إن سبأ كان اسماً لمكان ما فى إتيوبيا فى الزمن القديم حمله معهم المهاجرون الأولون الذين قدموا من اليمن فى عصور سابقة — واستقروا فى إتيوبيا ، على نحو ما فعلت القبائل العربية بعد الإسلام . فقد هاجرت هذه القبائل العربية بنظامها القبلى وسكنت أجزاء جديدة فى مهاجرها الجديدة كالأندلس ، وبلغ من حبها لمواطنها الأولى واعتزازها بها أن أطلقت على هذه الأجزاء الجديدة التى استقرت فيها أسماء الأماكن التى أتت منها فى مواطنها الجديدة ، ولكن هذا الاسم اختفى بعد قليل أو كثير من الزمن كما اختفى غيره من الأسماء لسبب أو لآخر .

٥

إلى جانب هذا الجزء التاريخي من القصة يوجد الجزء الآخر وهو زواج الملكة من سليمان ، وإنجابها منه ولداً ، ومجيء هذا الولد إلى أورشليم ، ثم تتويجه بواسطة كل من أبيه والكهنة ، ثم حمله تابوت العهد وما يحويه من ألواح إلى مملكته ، ومطاردة سليمان له ، وعدم نجاح هذه المطاردة وانتهاؤها باستقرار اللوح والتابوت فى إتيوبيا كى تنتقل مملكة داود إلى هذه الأرض الجديدة .

وهذا الجزء لم يقم عليه دليل فى الكتب السماوية أو غيرها من مصادر التاريخ ، ولم يعثر على نقش أو أثر يؤيد جزءاً أو أجزاء منها ، ولذا لا يستطيع المؤرخ المنصف إلا أن يقف منه موقف المتحفظ ، فهو فى نظرنا موضوع حتى يقوم عليه دليل تاريخى يوثق به ، ولذا لا نستطيع إلا أن نحاول تحليل ما بقى من هذه القصة لنعرف متى وضع ومن وضعه والغرض الذى وضع من أجله.

ولعلنا لا نستطيع أن نتكلم عن زمان وضعه أو شخصية الذى وضعه قبل أن نعرض للغرض الذى وضع لأجله .

وهذا الغرض واضح لا يحتاج إلى كثير من الجهد للكشف عنه ، إذ هو إظهار حق أسرة معينة فى العرش الإتيوبى ، طبقاً للقصة الأولى أو حق أسرتين معينتين ، طبقاً للقصة الثانية .وليس الغرض من هذه القصة إثبات هذا الحق فحسب ، بل إثباته بصفة قاطعة ، مانعة ، تحول دون أى محاولة للثورة على هذه الأسرة ، بل تجعل مثل هذه المحاولة إن حدثت نوعاً من الكفر أو تحدياً لمشيئة الله ، ما دامت إرادة الله قد شاءت أن تدفع بهذه الملكة إلى زيارة سليمان من أجل إنجاب هذا الولد الذى أصبح يستند فى حقه فى العرش الإتيوبى على حق إلهى .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم لماذا ألح الملك يوحنا الرابع على « إيرل جرانفل » وزير خارجية إنجلترا ، أن يعيد إليه النسختين الخطيتين من كتاب « كبرانجست » اللتين كانت الحملة البريطانية على إتيوبيا قد استولت عليهما إثر هزيمة الملك تيودوروس الثانى فى موقعة مجدلا ، إذ كتب إليه يقول : « إن الشعب الإتيوبى لن يطيعنى أو يخضع لى بدونهما » .

وكذلك عند ما طلب المسيو « هيولورو » مندوب فرنسا لدى جلالة الإمبراطور منليك الثانى إذناً بترجمة هذه المخطوطة إلى الفرنسية ، أجابه جلالته : « إن الأسلحة وحدها لا تكفى

للدفاع عن الدولة ، ولكن الكتب أيضاً . إن ما تتكلم عنه هو فخر دولتي ، وإنه لما يسرني ، ويسر جميع أفراد الشعب الإتيوبي مني فنازلا أن يترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ، ليعلم أصدقاؤنا أننا نعيش ، وليعلموا أيضاً أن الله لن يتركنا أبداً لأعدائنا » .

٦

هذا من ناحية الغرض الذى وضعت من أجله تلك القصة أو القصتان . أما عن زمن وضع كل منهما فإن ما ذكر عن سبب سفر الملكة إلى أورشليم يكفى لمعرفة هذا الزمن على وجه التقريب . فإن قصة الثعبان — الذى ذكرته القصة الثانية — والذى كان يعبده أهل تجرى ، ثم تعودهم التقرب إليه بفتاة وقدر من الخمر وآخر من اللبن ، ثم تغلب الملكة على هذا الثعبان بمعونة القديسين السبعة ، يجزم تمام الجزم بأن هذا الزمن بعد ظهور المسيحية بقرون ستة على أقل تقدير ؛ فهؤلاء القديسون الذين ذكرت أسماؤهم لم يصلوا إلى إتيوبيا إلا فى القرن الخامس الميلادى .

ومن الواضح أيضاً أن هذا الجزء لا يمت بصلة كبيرة إلى مجرى القصة ، وأنه قد وضع ، أو استعير لا لهدف سوى تشويق القارئ أو السامع إلى سماع بقية القصة ، ثم إلى « خلق » السبب الذى من أجله قامت الملكة بهذه الرحلة الطويلة : لأنها « سمعت عن سليمان ومقدرته الطبية وعن قدرته على أن يفعل العجائب ، فصممت على أن تذهب إليه ليعيد قدمها إلى حالتها الأولى » .

ولكن الشيء الهام الذى يحدد زمن وضع القصة على وجه الدقة هو هذا الجزء من القصة الثانية الذى يروى أن الملكة قد صحبت معها فى رحلتها وصيفتها ، وأن سليمان قد تزوجها كما تزوج سيدتها ، وأهدى إليها كما أهدى إلى الملكة قطعة من الفضة وخاتماً ومرآة ، وأوصاها كما أوصى الملكة أن تبادر فترسل إليه ولدها الذى تنجبه . وتزيد القصة الثانية أيضاً أن الوصيفة أنجبت ولداً كملكتها، وأرسلت هذا الولد مع أخيه إلى بيت المقدس ، وأن هذا الولد أخفق فى معرفة أبيه . ثم تتجاهل القصة هذا الولد تجاهلا تامًّا الأمر الذى يبدو غريباً غاية الغرابة ، كأنه لم يذهب إلى أورشليم . فذكر هذا الجزء من القصة الثانية ، بل إن تجاهله فى القصة الأولى ، ينبهنا إلى

أهمية وضع هذا الجزء ، وهذا الوضع لا بد أنه كان لغرض خاص حرص واضع القصة الأولى على تجاهله .

وهذا الشيء الذى يحرص أصحاب القصة الأولى على تجاهله هو حق غيرهم فى ارتقاء العرش مهما كان هذا الحق ضعيفاً ، فإنجاب ولد آخر من امرأة أخرى يجعل لهذا الولد حقًّا فى العرش .

ونحن نعرف من تفاصيل تاريخ إتيوبيا أن ملوك الأسرة السليمانية التى تجلس على العرش فى الوقت الحاضر يقولون إنهم فقدوا العرش فى القرن العاشر الميلادى حتى القرن الثالث عشر حين استرده من هذه الأسرة المغتصبة الإمبراطور يكونوا أملاك. وكانت الأسرة المغتصبة هى أسرة زاجوا التى يذكر كتاب « كبرانجست » أن ملوكها أحد عشر ملكاً حكموا مدة ثلاثة قرون ، وأن أشهرهم وأكبرهم شأناً هو سابعهم الملك لاليبالا الملقب بجبراماسقال الثانى وأن آخر ملوكهم هو نكويتا لآب الذى نزل عن العرش نزولا سلمياً للإمبراطور يكونو أملاك سنة ١٢٨٠م .

فليس لنا إذن إلا أن نقطع بأن هذه الأسرة الزجوية التى اغتصبت العرش فى القرن العاشر الميلادي ، وتمكنت من

الاحتفاظ به ثلاثة قرون كاملة ، هى التى وضعت فى القصة هذا الجزء ، وأنها قصدت بذلك تأييد حقها فى العرش وإظهار أن حقها فيه يستند إلى نفس الأسس التى يستند إليها حق الأسرة الأخرى . التى تفخر بانتسابها إلى منليك ابن ملكة سبأ من سليمان الذى لا يستند فى حقه فى العرش إلى كونه ابناً لهذه الملكة بل إلى كونه ابناً لسليمان . والولدان يستويان فى هذه الصفة ، ولا شأن لكون هذا الابن الثانى ابناً للوصيفة لا للملكة . بل أكدت القصة الثانية حقه فى العرش أكثر من أمه حين جعلتها تنزل عن عرشها له ، وما دامت الأسرة الأخرى قد ضعفت إلى حد عدم استطاعتها الاحتفاظ بالعرش فى نسلها ، فلن يكون هناك وارث طبيعى لها — يستطيع المحافظة على العرش السليمانى والمحافظة على تابوت العهد ولوحى الشريعة — إلا هذا الابن الثانى الذى لا يقل حقه فى العرش عن حق الابن الأول . ومن هنا نستطيع أن نجزم أن زمن وضع القصة الثانية كان النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ، حين احتاجت هذه الأسرة الجديدة إلى تأييد حقها فى العرش . وإن وضع هذه القصة الثانية كان سابقاً لوضع القصة الأولى التى عنيت حين استردت العرش بإظهار حقها فيه . فهى فى المدة السابقة لاغتصاب هذا الأسرة

الزاجوية العرش ، ثم استردادها إياه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر لم تكن فى حاجة إلى ما يؤيد حقها فى العرش ما دام العرش فى يدها حقيقة واقعة .

وأكثر من هذا أن القصة الثانية عنيت بأن تظهر أن الملك منليك لم يأت بتابوت العهد من أورشليم إلى أكسوم إلا بعد أن سرق وقتل ولجأ إلى الخديعة والغش ، فإنه لم يتردد فى إدخال الغفلة على أبيه من أجل أن يسرق التابوت ، كما لم يتردد فى قتل النجار الذى صنع له الصندوق ، وإجبار الكهنة على الصلاة من أجل أن يرفعوا الصندوق ، بل إنه لم يخرج من أورشليم إلا مطروداً بعد أن سئم الشعب تضارب أحكامه مع أحكام أبيه . ولما كان أبوه معروفاً بالحكمة وسداد الرأى فلا بد أن تكون أحكام هذا الملك الشاب أبعد ما تكون عن الحكمة وسداد الرأى .

كل هذا يجعلنا نعتقد أن الذى وضع النصف الثانى من هذه القصة الثانية هم أصحاب الأسرة التى اغتصب حقها مدة ثلاثة قرون ، ثم نجحوا فى استرداده ؛ أى أن القصة الثانية قد وضعت فى عهدين : وضع أولها فى عهد الأسرة الزاجوية المغتصبة ، ووضع آخرها فى عهد الأسرة التى استردت العرش . بل إن

هؤلاء الذين وضعوا النصف الثانى عنوا بأن يظهروا ابن سليمان الثانى بمظهر المهمل الذى لم يأخذ المرآة معه ليعرف وجه أبيه ، وقد جوزى على هذه الغفلة بأن سلب حقه فى العرش .

ولما كانت هذه الأسرة الزاجوية قد قامت فى لاستا ، وهى مدينة فى تجرى ، وكانت سلطتها فى لاستا وتجرى أقوى منها فى أى جزء آخر أدركنا لم تداول أهل تجرى هذه القصة دون غيرهم من أهل إتيوبيا .

ونلاحظ فى القصة الثانية أنها — بعد وصول التابوت إلى أكسوم واحتفاظ منليك به — لم تحاول أن تقدم لنا منليك فى صورة الملك المحارب الذى ينجح فى حكم دولته ، ولم تحاول أن تصوره لنا بطلا كما تفعل القصة الأولى ، فهى تريد أن تتجاهل هذا الملك بعد أن أدى الرسالة التى هيأه الله لأدائها ، لأن دوره لم يكن أكثر من حمل تابوت العهد إلى إتيوبيا مما لا يجعل حقه فى العرش مؤيداً .

وإذا استطعنا أن نحدد بصورة تقريبية واضع هذه القصة وزمان وضعها ، لأننا نعرف أن الأسرة الزاجوية حكمت ثلاثة قرون كاملة ، بل على وجه التحديد ٣٤٣ سنة (٩٤٠ — ١٢٨٣) فإننا نستطيع أيضاً أن نكون أكثر دقة ، فنحاول أن نعين

فى أى جزء من هذه القرون الثلاثة بدأ وضع هذه القصة ، فقد انتهزت فرصة ضعف الأسرة الأولى ، وعدم اتساع سلطة الملوك إلى أكثر من مدينة أكسوم وما حواليها ، وقامت الأسرة الجديدة فى لاستا ، وهى منطقة متطرفة فى غربى تجرى ، وجمعت حولها العناصر الغاضبة والتى أضرت بها الأسرة القديمة أو التى أضرت بها سيادة العناصر السامية ، وهى قبائل الأجوا التى كانت تسكن أجزاء أجوامدر ، وقبائل الفلشا . واستطاعت هذه العناصر مجتمعة أن تقضى على الأسرة القديمة وتنقل العاصمة من أكسوم إلى لاستا لتبدأ عهداً جديداً .

وكان العرش من نصيب الملكة جوديت ، وقد استمر حكمها أربعين سنة (٩٤٠ — ٩٨٠) فليس من المقبول عقلا أن تلجأ مثل هذه الملكة إلى اصطناع القصص لتأييد عرشها ، فالوسائل الشديدة العنيفة ، بل المتناهية فى الشدة والعنف التى لجأت إليها هذه الملكة لا تتسق مطلقاً مع سياسة اصطناع قصة ما من أجل تأييد حق فى عرش قد حصلت عليه فعلا بقوتها وقوة من معها من جند وما معها من سلاح .

وخلف هذه الملكة الملك تكلاهيمانوت الذى سرعان ما تبين خطأ سياسة الملكة السابقة .

ورأى ما جرته سياستها على البلاد من السخط والتذمر وانتشارهما بين الشعب إلى درجة هددت الأمن والسلام ، حتى خيف أن يخرج الأمر من يدها ، فلجأ إلى وسائل من شأنها القضاء على هذا السخط وإعادة الطمأنينة إلى نفوس الناس ، فكانت العودة إلى المسيحية إحدى هذه الوسائل ، وإعادة العلاقات الدينية مع مصر وسيلة أخرى ، وتعاون الدولة ، مع الكنيسة على بث الطمأنينة فى النفوس وسيلة ثالثة ، ثم كان تأليف هذه القصة التى تثبت حق الأسرة الجديدة فى العرش مستندة إلى أصول عميقة تعود إلى ما قبل الميلاد بعشرة قرون، وسيلة رابعة .

لذلك أرجح أن تكون هذه القصة التى روت زيارة ملكة سبأ لسليمان ملك المقدس مصحوبة برئيسة حرسها ، وأن سليمان رزق ولداً من كلتيهما ، قد وضعت فى هذا العصر . ولم يتورع منشئ هذه القصة — وربما يكون راهباً إتيوبيا — عن أن يدخل فى قصته أجزاء من قصص كانت متداولة بين المسيحيين وكانوا يؤمنون بها إيماناً لا يعتوره الشك مثل قصة الثعبان الذى يطلب العروس واللبن والخمر ، ثم التغلب عليه بقوة الإيمان أكثر من أى قوة أخرى .

وكانت هذه الوسائل مجتمعة كافية لأن تبعث القوة فى هذه الأسرة الجديدة فيمتد حكمها خلال عهد الملوك من الثالث إلى السادس دون أن نسمع أو يسجل لنا التاريخ ثورة أو محاولة لثورة من أجل الانتقاض على هذه الأسرة ، بل إن الأساطير تروى أن فرداً واحداً من أبناء الأسرة القديمة نجا من المذبحة التى قضت على جميع أفرادها وأنه استقر فى شوا لا يستطيع أو يجرؤ على أن يرفع رأسه ، لأن نفوذ الأسرة الجديدة التى تحكم فى لاستا كان ساحقاً ، برغم ضعف الملوك القائمين بالأمر ، فالمصادر كلها تجمع على أن السلطة الفعلية لملوك أسرة زاجوا لم تكن تتعدى منطقة سمن ، ولكن يبدو أن نفوذهم الأدبى كان كبيراً إلى حد أن أرغم أعداءها على الانزواء ، ولم يكن هذا النفوذ الأدبى إلا نتيجة هذه القصة التى تثبت حقهم فى العرش والتى انتشرت بين أفراد الشعب عن طريق رجال الدين والقصاص الذين انبثوا فى الشعب يروون له هذه « الحقائق » التى لا يعتورها الشك . وأخيراً جاء الملك لاليبالا الذى اتخذ لنفسه اسم جبراماسقال الثانى فأكمل عمل تكلاهيما نوت ، فبنى مجموعة كبيرة من الكنائس ووقف عليها الأراضى مما كان سبباً فى تدعيم هذه الأسرة . وقد استعان هذا الملك على إتمام برنامجه الإنشائى بمجموعة كبيرة من الفنانين المصريين والعمال المصريين .

ويبدو أن رجال الدين الذين نعموا بالهدوء والاطمئنان فى عهد كل من تكلاهيمانوت ولاليبالا لم يكتفوا بما ترويه القصة ، أو أنهم رأوا أن يدعموا هذه الأسرة أكثر مما دعمت ، أو ربما رأوا بوادر ضعف قد سرت إليها ، فرفعوا الملك الأخير إلى مرتبة القديسين ، وصاغوا حول اسمه مجموعة من القصص والخرافات تجعله فوق مرتبة البشر ، فقد عرف النحل ميعاد ولادته فتجمع حول والدته وسلم عليها سلام الملك . ولم تكن هذه الجماعات من النحل سوى جماعات من الملائكة رأت أن تتخذ النحل صورة لها . وكان هذا الملك أيضاً — كما تروى هذه القصص — مملوءاً بالحكمة ومن روح الله ، حتى لقد تآمر إخوته عليه لقتله بالسم فدسوا إليه لحماً مسموماً ، ولكن الملائكة أنقذته وحملته على أجنحتها إلى السماء الأولى فالثانية فالثالثة إلى السابعة حيث شاهد مجد الله بعينيه ، فأمره — جل جلاله — أن يبنى عدداً من الكنائس . ولم تقف مؤامرات الأعداء عند حد ، فأخذت الملائكة على عاتقها أمر حمايته بإخفائه عنهم فى الكهوف والمغارات ، بل لم يترددوا فى أن يقفوا إلى جانب العرش يحفظونه من أن يجلس عليه مغتصب ، وحملته أيضاً على أجنحتها إلى بيت المقدس لزيارتها ، ولعل الصلة بين قصة زيارة الملكة

لسليمان فى أورشليم وهذه القصة الأخيرة واضحة لا تحتاج إلى برهان أو دليل .

وحكم بعد لاليبالا أربعة ملوك ، ويبدو أنهم كانوا ضعافاً كأسلافهم كما أنهم لم يقوموا بأية أعمال إنشائية تدر بعض الخير على الناس ، فمادت الأرض تحت أقدامهم ، وأخذت السلطة تنتقل رويداً رويداً من أيديهم ، حتى انتهى أمر أسرتهم نهائياً بقيام يكونو أملاك فى سنة ١٢٨٣ .

ولعلنا نلاحظ أيضاً أثر الإسلام الواضح فى هذه القصة ، فقد عنيت بإظهار ما ذكره القرآن الكريم من كشف الملكة عن ساقها حين حسبت أرض الهيكل مغمورة بالماء كى تتسق مع ما ذكره أولا من تحول قدم الملكة إلى قدم حمار ورغبتها فى شفائها ثم رغبة الملك سليمان فى رؤيتها دون أن يطلب منها ذلك . ويبدو أن المؤلف لم يفهم تماماً ما جاء فى القرآن الكريم ، أو أنه أراد أن يعطى قطعة الخشب ، أهمية أخرى علاوة على أهميتها الأولى فى الدور الأول من القصة ، فغمر أرض الهيكل بالماء ووضع الخشبة فيها .

ولا غرابة فى تأثر أهل إتيوبيا بالإسلام ، فقد كانوا . ولا يزالون — أقرب الناس إلى سكان الجزيرة العربية وأكثرها

استقبالا للعرب قبل الإسلام وبعده ، حتى كانت هذه البلاد أولى الأجزاء التى سمعت عن قيام الإسلام وأولى البلاد التى فكر النبي صلى الله عليه وسلم فى أن يهاجر إليها المضطهدون من أنصاره ، فيستقرون فيها زهاء ستة عشر عاماً . فلا بد أن أجزاء كثيرة من إتيوبيا قد قطنها المسلمون واختلطوا بالمسيحيين، فإذا ما جاء وقت تأليف هذه القصة كان أثر هذا الاختلاط واضحاً ، كما وضح هذا الأثر أيضاً فيما قيل عن حمل الملائكة للملك لاليبالا إلى القدس . وكذلك وضح هذا الأثر فى القصة الأخرى حين عنيت بأن تذكر أن الملكة اكتشفت عن سليمان أنه كان يعرف لغة الحيوان والطير وأنه كان قوياً يسيطر بقدرته على كل الأرواح والشياطين التى كانت تأتمر بأمره وأن شعب ملكة سبأ كان يعبد الشمس كما جاء فى القرآن . . .

٧

والآن إلى القصة الأخرى لنحللها أيضاً كما فعلنا فى القصة الأولى :

ولعل أول ما نلاحظه على القصة الأخرى (الأولى فى الترتيب

الذى أوردناه) أنها لم تعن بقصة الثعبان ، بل قصدت إلى الهدف مباشرة ، وذكرت أن الملكة ماكيدا كانت واسعة الثروة والغنى تملك الكثير من الذهب والفضة ، وأنها سمعت عن حكمة سليمان فأعجبت به ، وزرع الله فى قلبها أن تذهب إلى بيت المقدس لترى هذا الملك العظيم وتتزود من حكمته . فلم يكن حب الثروة ولا الرغبة فى الشهرة ولا الرغبة فى معالجة نقص بها هى التى دفعتها إلى هذه الزيارة ، بل حب الحكمة ، وهو فى ذاته غرض نبيل يرفع من قيمة الملكة فى هذه القصة عن قيمتها فى القصة الأخرى .

وتجاهلت القصة الأولى ذكر رئيسة الحرس وذهابها مع الملكة إلى أورشليم وزواج الملك بها وإنجابه منها ؛ بل تجاهلت كل ما يتعلق بهذا الولد الثانى . ومن الواضح أن هذا التجاهل لا يدع لأحد حقا فى العرش ، بل حصر هذا الحق فى شخص واحد هو هذا الابن الوحيد الذى أنجبته الملكة من سليمان ؛ فكل من عداه وليس من نسله لاحق له فى العرش ، بل هو مغتصب له .

وأصرت القصة الأولى على ذكر الحلم الذى رآه سليمان فى منامه ، بل أطال فى ذكر هذا الحلم وتفاصيله ، وأن الشمس

سطعت فى كبد السماء ثم سارت حتى وصلت إلى إتيوبيا واستقرت هناك . ومعروف أن هذه الشمس تمثل انتقال الأسرة والعرش إلى بلد جديد ، الأمر الذى أثار رعب سليمان فكاشف به رئيس الكهنة ، فلم يكن رعب هذا الأخير أقل من رعب الملك .

وأظهرت هذه القصة أيضاً كيف صحب صادوق الكاهن الأكبر منليك إلى الهيكل وأدخله إلى قدس الأقداس حيث لمس المذبح وأعلنه ملكاً ، ثم أركب بغلة سليمان وطيف به فى المدينة بين هتافات الشعب ، فى حين اكتفت القصة الأخرى بأن ذكرت أن سليمان تـوّجه ملكاً ، وأجلسه على العرش . والفرق بين النصين ظاهر ، فالمقصود بالنص الأول اشتراك السلطتين الدينية والزمنية فى هذا الاختيار بل قد اتخذت فى القصة كل مظاهر التتويج من إعلانه ملكاً فى الهيكل ، ثم خروجه فى موكب رسمى يركب فيه بغلة سليمان ، وطوافه بالمدينة ، ثم استقبال الشعب وترحيبه به .

وأكثر من هذا كله أن القصة الأولى عنيت أكثر ما يكون بأن تظهر أن من فكر فى « سرقة » التابوت عن طريق الخداع والسير فى إجراءات هذا الخداع لم يكن منليك نفسه ، فتنزهه

عن ارتكاب كل هذه الأفعال التى لا تليق بالملوك ، بل كان الذى فعل ذلك هم الكهنة الذين صحبوه فى رحلته بالاتفاق مع أبكار رجال الدولة ، فقد اجتمعوا من تلقاء أنفسهم وصمموا على أن يحملوا هذا التابوت دون أن يدرى أحد بفعلتهم ، ودون أن يستشيروا منليك أو أن يشترك معهم فى شىء من تفاصيله ، ودون أن يقتل أحداً أو يخدع أحداً أو يأتى ما تأباه الشرائع والقوانين الوضعية أو السماوية ؛ بل فوجىء منليك بالتابوت بعد أن وصل إلى مصر ، فلم يملك إلا أن يسجد له مع الساجدين ، على حين وقف رفاقه يصفقون ويرقصون .

كذلك أظهرت القصة الأولى أن منليك لم يحاول الهرب من أبيه أو خديعته ، بل استأذنه فى الرحلة ، فأذن له وقبّله ومنحه بركته ، وأعطاه الغطاء القديم للتابوت .

وشىء آخر هام عنيت القصة بإظهاره ، وهو جمع الملكة لأعيان الدولة ووجهائها وقسمهم أمامها على أن لا يجعلوا عليهم مستقبلا ملكة مطلقاً ، وأن لا يقبلوا عليهم ملكاً فى المستقبل لا يكون من نسل داود بن سليمان ، ثم إقبال الجميع على هذا القسم فرحين به .

وكذلك أظهرت هذه القصة أيضاً أن الملكة هى التى

عينت عازار بن صادوق كاهناً أعظم للدولة ، ومعنى ذلك — ولا شك — خضوع السلطة الدينية للسلطة الزمنية إذ أن الجالس على العرش هو الذى يعينه فى مركزه .

وكذلك عنيت القصة الأولى بأن تظهر منليك بأنه هو الذى نظم دولته على نحو مملكة أبيه ، كما نظم قوانينها وفقاً للشريعة الموسوية ، وأنه حاول من هذا كله أن يجعل من مملكته مثالا لمملكة أبيه ، وبذلك يكون الملك هو صاحب السلطة التشريعية والتنفيذية العليا فى الدولة ، وليست هناك سلطة أخرى تملك شيئاً من التشريع أو التنفيذ .

وأخيراً عنيت القصة الأولى بأن تقدم منليك إلى الشعب ملكاً شجاعاً اشترك فى حروب كثيرة خرج منها جميعاً منتصراً ، ثم إظهار أعدائه بأنهم كانوا أناساً لهم ذيول كذيول الحمير !

هذه كلها فروق فى القصتين لم توضع عبثاً ، بل قصد بكلّ واحد منها إلى هدف معين ، فإظهار الملكة بمظهر الغنية التى تملك الكثير من الذهب والفضة يجعلها — كما ذكرنا — لا تهدف إلا لغرض نبيل ، كما يظهر أنها تقوم بهذه الزيارة لأن الله أراد أن يرزقها ولداً من سليمان يرث والده فى الحكم ،

وأن الله هو الذى أراد أن ينقل بيت داود من أورشليم إلى إثيوبيا .

وشاء الله أيضاً أن يجعل منليك يرتقى العرش ارتقاء صحيحاً ترضى عنه السلطات المدنية والدينية ، بل أن يتبع فى ارتقاء العرش جميع الطقوس الدينية الصحيحة التى رضى الله عنها قبل أن يظهر غضبه على إسرائيل ، كما أن منليك هذا كان فى كل تصرفاته مثلاً للابن الصالح الذى يرضى عنه والده ، ولم يحاول أحد منهما تخطئة رأى الآخر . فكان الاثنان معاً مثالا للحكمة البالغة التى زرعها الله فيهما ، كما أن منليك لم يحاول أن يخدع أحداً أو يرتكب إثماً فى سبيل هدف ما ، وأنه إلى وقت سفره كان مباركاً من سليمان حتى لقد أهداه غطاء التابوت .

وقسم أعيان الدولة ووجهاؤها أن لا يجعلوا عليهم فى المستقبل ملكة ، مقصود به إظهار اغتصاب أسرة زاجوا لعرش لم يكن لهم حق فيه ، لا سيما أنه لم يصحب الملكة فى سفرها أحد ممن يستطيع أن ينجب ولداً ثانياً لسليمان . وإذا كانت الملكة جوديت أولى ملوك الأسرة الزاجوية قد ارتقت العرش الإتيوبى فى القرن العاشر ، فقد كانت مغتصبة للعرش ، وبذلك أصبحت

كل أسرتها ومن تولى العرش من بعدها من ملوك هذه الأسرة مغتصبين له أيضاً ، بل إن كل من يرتقى هذا العرش فى المستقبل من غير الأسرة السليمانية مغتصب للعرش ، لأن إرادة الله هى التى شاءت أن تجعل عرش إتيوبيا من حق هذا الابن ونسله من الذكور دون غيرهم ؛ وكل من يحاول ذلك إنما يقف أمام إرادة الله ، بل يعارض إرادة شعب بأكمله ، كما يعارض قسماً أقسمه الشعب ممثلا فى ذوى المكانة منه عن رضا وارتياح . ومن أجل هذا الغرض نصت المادة الخامسة من دستور سنة ١٩٥٥ على أن « نظام الوراثة ينحصر فى الذكور المولودين من زواج شرعى » .

وطبقاً لهذه القصة أيضاً لا يملك أحد من الشعب حقًّا بجانب حقوق الملك ، فهو الوحيد الذى يملك حق التشريع والتنظيم لهذه الدولة ، وكل قانون أو تشريع أو تنظيم أو تنفيذ لا بد أن يصدر عن الملك بمحض إرادته ، بل إن هذه التنظيمات والقوانين التى يضعها الملك للدولة إنما هى تشريعات إلهية لا تصدر إلا وفقاً لقوانين سماوية لا يملك أحد حق معارضتها أو نقضها أو الخروج عليها .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم لماذا ذكر الإمبراطور

في خطابه الذى وجهه إلى « الأمراء والأعيان والأساقفة ورؤساء الكنيسة » فى التاسع من هملى سنة ١٩٢٣ (١٩٣١ م) ، والذى أعلن بمقتضاه صدور الدستور الأول أن « أفكاره التي اتجهت إلى مصالح إتيوبيا ومصالح شعبها المحبوب هى التى تتجه الآن إلى أن يمنح شعبه دستوراً ، وإنه من أجل سعادة الشعب وتقدمه يمنحه هذا الدستور دون أن يسأله أحد أو يطلب منه إصداره » .

كما نصت المادة الحادية والتسعون من الدستور الجديد الصادر فى سنة ١٩٥٥ على أن الإمبراطور « يملك فى حالة عدم اتفاق مجلسى النواب والشيوخ على تشريع ما : أن يضع مشروعاً جديداً يختلف عن مشروعى المجلسين » .

بل إن الملك — وفقاً لهذه القصة — لا بد له أن يدافع عن هذه القوانين وعن هذه النظم بكل ما يملك من قوة ، منها قوة السلاح . وإن من يخرج عن إرادته أو يقف فى وجهه معارضاً إنما هو حمار أو كالحمار !

ومن هذا كله نستطيع أن نشير بيدنا الآن إلى من وضع هذه

القصة الأخرى ، ومتى وضعها ؛ ولماذا وضعها ؟ فجميع الأدلة تشير إلى شخص واحد ووقت واحد وغرض واحد ، وهو يكونو أملاك الذى « استرد » العرش الإتيوبى كما تقول الأساطير الإتيوبية فى القرن الثالث عشر الميلادى ، لتثبيت حقه وحق أسرته فى العرش وانتزاع كل وهم يتجه إلى شخص آخر أو أسرة أخرى .

ونحن نعرف من حوادث التاريخ الإتيوبى أن يكونو أملاك عند ما ظهر فى القرن الثالث عشر حرص على أن يظهر نفسه بأنه سليل الأسرة السليمانية القديمة ، ويذكر أنه كان مختفياً فى إقليم شوا . وأنه لم يكد يظهر معلناً دعوته حتى لجأ إلى وسائل مختلفة تعينه على بلوغ غرضه وكانت هذه الوسائل هى :

١ — عقد اتفاقاً مع (أبونا) تكلاهيمانوت الذى كان رئيساً لدير دبرا ليبانوس ، ينص على : أن يمنحه رجال الدين وعلى رأسهم تكلاهيمانوت تأييدهم وتأييد الجماهير التى تتأثر بهم ؛ وأن يهب يكونو أملاك ثلث أراضى الدولة للكنيسة للصرف عليها وعلى رجال الدين والمنشئات الدينية فى البلاد ؛ وأن ينصب تكلاهيمانوت رئيساً للإكليروس الإتيوبى ويحظى بلقب

يؤيد هذه الرئاسة ولا يتمتع به أحد غيره ، وهو الإتشيجى ، كما يتمتع بسلطات لا يتمتع بها أحد غيره من رجال الدين الإتيوبيين .

وتذكر الأساطير الإتيوبية التى تروى تاريخ هذه الفترة أن « يكونو أملاك كان محباً للرب ، وبسبب حكمته ذهب إلى تكلاهيمانوت وجعله أميناً على مملكته كى يقويه الرب على جميع أبناء إسرائيل ، فصلى تكلاهيمانوت وطلب من الرب ــ مصدر كل قوة ــ فصنع سلاماً بينه وبين الرب ، فحينئذ ذهب يكونو أملاك إلى أبينا تكلاهيمانوت مصدر كل النور ورئيس الكهنة . وأعطاه ثلث مملكة إتيوبيا وحكم خمس عشرة سنة » .

وواضح من هذا النص اتفاق السلطتين الزمنية والدينية على منح العرش الإتيوبى ليكونو أملاك ، ومباركة رئيس الكهنة لهذا العمل ، وهو نفس ما روته القصة من رضى عازار ابن صادوق رئيس كهنة أورشليم على تنصيب منليك ملكاً ، ثم قيام عازار رئيس الكهنة فى المملكة الجديدة بهذا العمل بعد أن عينته ماكيدا أم الملك .

وفى سبيل تنفيذ هذا الاتفاق لم يكد يكونو أملاك يعلن

نفسه « نجوس نجست » لإتيوبيا حتى أعلن تكلاهيمانوت من جانبه أنه قد توصل إلى عقد اتفاق سلمى مع آخر ملوك الأسرة الزاجوية، وهو نكويتالاب ، على أن ينزل عن التاج واللقب للأسرة السليمانية فى شوا مع احتفاظه ونسله بلقب « نجوس» وجزء من ولاية لاستا . على أن تكون أرضه معفاة من الضرائب، كما يحق له أن يجلس على عرش ذهبى مماثل لعرش الإمبراطور، وأن تكون له شارات ملكية مصنوعة من الفضة ، وكذلك سنان رمحه ، وأن تكون له طبول محلاة بالفضة أيضاً.

وكوفئ أبونا تكلاهيمانوت على هذه المساعدة بأن نصبه يكونو أملاك إتشجى ، أى رئيساً للإكليروس الوطنى ؛ ورفعته الأسرة السليمانية فيما بعد إلى مرتبة القديسين ، وألفت فى حياته كتاباً ضخماً ذكرت فيه أنه من نسل عازار بن صادوق الكاهن الذى أرسله سليمان مع ابنه منليك ليكون كاهن مملكته الجديدة، والذى دبر مسألة نقل تابوت العهد من أورشليم إلى إتيوبيا . كما أحيط تكلاهيمانوت بمختلف الأساطير التى ترفع من قيمته ، فقد بشر الملاك والديه العاقرين بولادته ، ووقعت أمه مرة فى أسر حاكم داموت وأراد أن يتخذها زوجة له ،

لولا أنه رأى برقاً وسمع رعداً ، وزلزلت الأرض فجن وقتل حرسه وظل مجنوناً خمساً وعشرين سنة حتّى ولد القديس تكلاهيمانوت وكبر وترهب وشفاه من مرضه !

ولما وضعته أمه سماه الملاك لها تكلاهيمانوت ، وبعد ثلاثة أيام من ولادته نزل عليه الروح القدس ، فصنع المعجزات قبل أن يبلغ الشهر الخامس عشر ، ولما بلغ السنة السابعة من عمره كان قد حفظ المزامير والعهدين القديم والجديد ، وصارت له قدرة على إخراج الشياطين وعمل المعجزات وإحياء الموتى .

وقد ساعد تكلاهيمانوت بنفوذه ونفوذ الكهنة الذين يخضعون له على نشر الدعاية ليكونو أملاك فى مختلف أنحاء الدولة ، حتّى استطاع أن يجمع جنوداً بلغت ست فرق سارت بقيادة مالزاى رئيس الجند الذى باركه تكلاهيمانوت ، واستطاعت هذه الجيوش أن ترغم الملك الزاجوى على تنفيذ الاتفاق الذى كان قد وقعه مع أبينا تكلاهيمانوت .

ب ــ وكانت الوسيلة الثانية التى لجأ إليها يكونو أملاك هى أنه أرسل إلى مصر يطالب إعادة العلاقات الدينية مع الكنيسة المصرية ، وكانت هذه العلاقات الدينية قد قطعت منذ عشرين سنة تقريباً ظل فيها منصب المطران شاغراً ،

ومات فيها كثير من رجال الدين ، واضطر الناس خلالها إلى أن يتزوجوا دون اللجوء إلى الكنيسة ، وأن يدفنوا موتاهم دون الصلاة عليهم ، وأن يهملوا تعميد أولادهم، بل أن يهملوا أيضاً الذهاب إلى الكنائس والقيام بالطقوس الدينية والمدنية ؛ فأرسل يكونو أملاك فى سنة ١٢٧٤ إلى بطريرك الإسكندرية أتناسيوس الثالث يطلب مطراناً ، كما أرسل خطاباً ثانياً — على نحو ما جرت العادة منذ الفتح الإسلامى — إلى السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى يستأذنه فى أن يسمح للبطريرك باختيار مطران وتعيينه .

بل إن الإمبراطور يكونو أملاك لم يتردد فى أن يذل نفسه إلى السلطان الظاهر فيصف نفسه بعبارات ذليلة حين قال له فى خطابه : « أقل المماليك يقبّل الأرض بين يدى السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه . . . . . وأقل المماليك يسير إلى نواب الملك المظفر صاحب الملك ما يلزمه وهو يسيره إلى مولانا السلطان » .

ويبدو أن يكونو أملاك لم يرسل هذا الخطاب بواسطة رسول خاص إلى البطريرك أو إلى السلطان ولا مشفوعاً بالهدايا التى كان من عادة ملوك إتيوبيا أن يرسلوها إلى كل من

السلطان والبطريرك ، بل اكتفى بإرساله إلى الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول صاحب اليمن — وكانت تابعة لمصر آنذاك — وتولى هذا إرساله إلى مصر بعد أن احتجز الرسول فى اليمن منتظراً أوامر بشأنه من السلطان الظاهر أو منتظراً ورود الرد ليحمله إلى مولاه .

ولهذا السبب ولأسباب أخرى رفض السلطان الظاهر بيبرس السماح للبطريرك بتعيين مطران ، بل أرسل إلى يكونو أملاك رداً جافاً علل فيه رفضه بعدم وصول رسول من الإمبراطور كى يكون الاختيار بوجوده كما جرت العادة ، مع علم السلطان أن رسول الإمبراطور قد احتجزه تابعه صاحب اليمن .

ورأى يكونو أملاك انهيار آماله التى بناها على ورود المطران وهى تتويجه بساطة دينية شرعية تملك سلطة هذا التتويج ، الأمر الذى لم يكن يملكه تكلاهيمانوت ولا غيره من رجال الدين الإتيوبيين ، فحاول أن يجرب وساطة الدولة الرومانية الشرقية فكتب إلى إمبراطورها باليولوجوس (١٢٦١ — ١٢٨٢) كتاباً يسأله هذه الوساطة ، وأرسل له فى سبيل ذلك هدية هى بضع زرافات . ولكن هذا الأخير لم يكن فى حالة تسمح له بحرية العمل ، فقد كانت صلته بمصر مقطوعة ،

كما أن حالة الدولة الداخلية كانت أسوأ من أن تترك له فرصة يلتفت فيها إلى عمل خارجى آخر ، فقد استرد القسطنطينية من الاحتلال اللاتينى ، وكان أمامه من المشكلات والنفقات ما فوق طاقته .

وكان هذا الرد غير المنتظر من مصر . والاخفاق فى وساطة إمبراطور الدولة الرومانية قد أفقدا يكونو أملاك أعصابه ، إذ كان ينتظر وصول المطران بفارغ صبر ، ويعلق على وصوله الآمال الكبار ، وربما ضيع عدم وصوله كل ما بذله وما نجح فيه حتى الآن ، بل ربما يكون انتشار خبر رفض البطريرك تعيين مطران معناه عدم اعترافه به إمبراطوراً مما يعجل بانفضاض الناس من حوله وظهور رءوس لفتنة جديدة وارتفاع أسهم الأسرة القديمة أو غيرها ، فلجأ إلى مطران القدس يوسطه أيضاً، وكان هذا قبطياً مصرياً لأول مرة، ولكن هذه الوساطة لم تنجح أيضاً ؛ فلجأ — بعد أن تعقدت الأمور إلى هذا الحد وأنذرت بالخطر — إلى بطريرك أنطاكية السريانى الأرثوذكسى المذهب يطلب منه تعيين مطران سريانى ، فبادر هذا بإرسال مطران يدعى تيودوسيوس لشغل المنصب ، ولكن هذا الاتجاه لم يكن ليخدع الشعب الشديد التمسك

بمذهبه الشديد التعلق بتبعيته لبطريرك الإسكندرية ، مهما يحدث من خلاف كان يؤدى فى بعض الأحيان إلى طرد المطران ، ومهما ارتكب المطران من أعمال تؤدى إلى إغضاب كثير من الإتيوبيين ، أو مهما انقطعت الصلة بينه وبين بطريرك الإسكندرية . بل يبدو أن رجال الدين الإتيوبيين تذمروا من هذه الخطوة ، ووصل تذمرهم إلى حد الثورة على الإمبراطور ، فكاتبوا البطريرك الجديد فى الإسكندرية (يؤنس الثامن) فى ذلك ، وربما حاولوا استصدار قرار بطريركى بحرمان الإمبراطور.

حـ — ولجأ يكونو أملاك إلى وسيلة ثالثة وهى استعمال القوة لإرغام آخر ملوك أسرة زاجوا على تنفيذ اتفاق النزول عن العرش ، ولسحق كل من تحدثه نفسه بالثورة على الإمبراطور الجديد ، فلجأ من أجل ذلك إلى التجار المسلمين يستنجدهم ، وكان هؤلاء على نصيب كبير من القوة والثروة بفضل هذه التجارة الواسعة التى كانوا يدبرون أمرها سواء فى المحيط الهندى أو البحر الأحمر ، فقد كانوا هم الذين يتولون نقل التجارة الهندية — بعد أن يتولى التجار الهنود نقلها من مواطنها إلى عدن بسفنهم الضخمة — إلى موانى شرق إفريقية وإلى موانى

إتيوبيا والسودان ومصر المطلة على البحر الأحمر ؛ بل كانوا يتولون نقلها أيضاً إلى بقية أجزاء إفريقية ، وكان لهم من أجل ذلك أساطيل بحرية ضخمة وجيوش منظمة قوية تحمل أحدث ما وصل إليه العلم آنذاك من سلاح .

وكان أن عقد يكونو أملاك مع أحد هؤلاء التجار ويدعى عمر ولسمع اتفاقاً نص على أن يقدم هذا التاجر مساعدته المالية والحربية إلى يكونو أملاك حتى يتمكن من تنصيب نفسه إمبراطوراً على إتيوبيا ، فإذا نجح فى ذلك نصب عمر ولسمع سلطاناً لسلطنة إيفات المسلمة التى تقع فى شرق إتيوبيا وتطل على البحر الأحمر عن طريق ميناء زيلع ، كما يمنحه حرية الإغارة على مملكة شوا الإسلامية التى كانت قائمة فى شرق إتيوبيا أيضاً منذ أكثر من ثلاثة قرون ويحكمها حكام وملوك مسلمون وتتمتع بنصيب كبير من الاستقلال ، كما يمنحه رياسة الأجزاء الإسلامية من دولته على أن يكون بعد ذلك خاضعاً لسلطة الإمبراطور .

وقام عمر ولسمع بما يوجبه عليه الاتفاق ، وانضم إلى يكونو أملاك ومعه عدد كاف من الجنود المسلمين المسلحين وصل — كما تقول رواية يكونو أملاك نفسه كما جاء فى كتابه

إلى الظاهر بيبرس — إلى عشرة آلاف فارس ، وكوّن منها — إلى جانب ما استطاع رجال الدين الإتيوبيون أن يجمعوه له بإرشاد تكلاهيمانوت — ما مكنه من تنفيذ أهدافه . وجلس أخيراً على العرش الإتيوبى إمبراطوراً فى سنة ١٢٦٨ م ... . وانصرف عمر ولسمع إلى مهاجمة ملك شوا الإسلامية ، فهاجمها أربع مرات بقيادته أحياناً ، وبقيادة أولاده أحياناً أخرى ، كما كان يدفع أمراء هذه الدولة إلى الوقوف فى وجه سلطانها ويؤيدهم بالرجال والمال ، مستنداً فى ذلك إلى مصاهرته لأحد هؤلاء الأمراء . وفى هذه الغزوات الأربع خرب مملكة شوا تخريباً شاملا وأحرق عاصمتها ، وأرغم رجالها على الهرب من وجهه حتى انتهى الأمر إلى ضمها إلى إيفات سنة ٦٨٧ هـ ١٢٨٨ م بعد موت يكونو أملاك بثلاث سنوات .

فهل نستبعد أن يلجأ يكونو أملاك إلى سلاح الدعاية يستخدمه ليثبت حقه فى العرش ، فيضع هذه القصة التى تظهر أن ما يبذله من الجهد للجلوس على العرش الإتيوبى ليس إلا من أجل استعادة حق اغتصبه المغتصبون قبل ذلك بقرون ثلاثة ، وأن حق هؤلاء المغتصبين — وإن طالت مدتهم — لا يرقى إلى حقه ، وأن الوارث الطبيعى جاء ليسترد حقه

المسلوب ؟ وكان فى وضعه لهذه القصة فى شكلها الجديد سالباً كل حق من الأسرة القديمة ، بل مظهراً إياهم بأنهم اغتصبوا شيئاً لم يكن لهم فيه أدنى حق أو شبهة من حق ، وأن هذه القصة التى يستند إليها هؤلاء الملوك الزاجويون إنما هى قصة مخترعة أضافوا إلى أصلها أشياء لم تكن فيها ، وحذفوا منها أشياء لم يكن من حقهم أن يستبعدوها لأنها تسند حقاً لم يكن لهم ، وأن القصة الحقيقية للزيارة إنما هى تلك التى يذيعها هو .

ولعل إخفاق يكونو أملاك فى سياسة استقدام مطران مصرى جديد ، ثم محاولة استقدام مطران أرثوذكسى آخر وإن كان غير تابع لكرسى الإسكندرية ذى العلاقات التقليدية ، ثم عدم رضا الشعب عن هذه الخطوة الجريئة التى رآها فصلا بينه وبين كنيسته التقليدية المحبوبة ، وعدم رضا رجال الدين عن هذا كله ، هو الذى شجعه على اختراع هذه القصة وعلى إعطائها هذه الصورة التى يرغب فيها والتى تؤيد حقه وتسلب الآخرين حقهم .

ويؤيد هذا ما فعله يكونو أملاك لأول مرة فى التاريخ الإتيوبى من إنشائه ما نستطيع أن نسميه « ديوان التأريخ »

مهمته تسجيل الحوادث الهامة التى تقع وترتيبها وإذاعتها . فهل نستبعد أن يقوم هذا الديوان أو هذه الإدارة بمهمة وضع هذه القصة فى الشكل الذى يتلاءم مع الهدف الذى يسعى إليه الإمبراطور ؟

٨

وأخذ يكونو أملاك ينشر هذه القصة بمختلف وسائل النشر ، فكان رجال الدين من هذه الوسائل ، فأخذوا يرددونها فى مجتمعاتهم ويكثرون من ترديدها كلما اجتمعوا مع أفراد الشعب ، كى يجعلوه يؤمن بما جاء بها . وكان تكلاهيمانوت ورياسته الجديدة على رجال الدين أكبر عون على هذا الذيوع . وأخذ الرهبان فى الأديرة المختلفة بفضل المنحة التى وهبها إياهم ، وهى ثلث أراضى الدولة ، يكتبون هذه القصة ويكثرون من كتابتها فى مخطوطاتهم ، ويرسلون هذه المخطوطات إلى مختلف الكنائس كى يقرأها أفراد الشعب أو يقرأها الكهنة للشعب أو يعلموها للصغار فى المدارس والكتاتيب الملحقة بالكنائس والأديرة . ولا بد أن هذه المنحة قد هيأت الظروف لكثير من

الناس أن ينضموا إلى صفوف الرهبان ورجال الدين بعد أن رأوهم يتنعمون بما لم يكونوا يتنعمون به من قبل ، فكثر عددهم فى الأديرة القائمة ، بل كثر عدد الأديرة فى طول البلاد وعرضها وأقبل الإتيوبيون يلتحقون بها ؛ فكانت هذه الوسائل هى الأداة التى مكنت يكونو أملاك من نشر القصة وإذاعتها .

ولجأ يكونو أملاك إلى الشعراء والمنشدين يدفع إليهم أو يدفع بهم إلى من يحفظهم هذه القصة ، ثم يطلقهم ينشدونها فى معابر الطرق وزوايا الشوارع وفى سهرات الإتيوبيين وحفلاتهم ومآتمهم وأفراحهم ، وكلها مجتمعات تضم أشتاتاً مختلفة من الناس أياماً قد تطول إلى أربعين يوماً بل إلى عام كامل فى بعض الأوقات على نحو ما جرت به عادة القوم فى تلك الأيام . فكانت كلها فرصاً تتيح لهؤلاء الشعراء والكهنة والرهبان ورجال الدين أن يبلغوا من غرضهم ما يريدون وما يريد سيدهم أن يبلغ .

وكان للإتيوبيين من الظروف الطبيعية ما يساعد على سرعة انتشار هذه القصة ، فهم شعب مرح يحب الغناء والطرب ويميل إليه ، وعندهم كثير من الآلات الموسيقية تساعدهم على توقيع الألحان مصحوبة بالغناء ، بل كان لهم

من الآلات الموسيقية ما يساعد الشاعر أو المنشد على ترديد القصص وأعمال البطولة لمن يحبونهم من الأبطال والشجعان . فإذا ما أظلمت الدنيا وأقبل الليل كوّن الإتيوبيون فى بيوتهم الحلقات المختلطة من الرجال والنساء ، وأقبلوا على مشروبهم الوطنى الذى يصنعونه من الشعير أو العسل يرشفونه رشفاً بل يعبونه عباً فى كميات كبيرة ، فتميل نفوسهم إلى سماع الشاعر ضارباً على آلته الموسيقية مترنماً بالشعر والقصص على نحو ما يفعل الفلاحون المصريون فى الوقت الحاضر .

وكان فصل المطر الذى يستمر أربعة أشهر أو أكثر فى بعض الأحيان فرصة أخرى لانتشار هذه القصص وأشباهها بينهم ، فمن عادتهم أن يهيئوا أنفسهم كل عام لقدوم هذا الفصل ، فيختزنون من المواد الغذائية ما يكفيهم طوال هذه المدة التى يقضونها فى بيوتهم ما دام المطر ينهمر طول الليل وجزءاً كبيراً من النهار فلا يمكنهم من رعى مواشيهم أو الابتعاد بها عن مواطنهم ، ولا يمكنهم من زراعة أرضهم ، ويحول دون الانتقال أو السفر إلى قرى غير قراهم ، فليس لهم إلا أن يقضوا هذا الفصل الطويل فى كسل دائم يقبلون فيه على طعامهم وشرابهم وإلى ما يحبونه من التجمع حول الشاعر ،

يسمعون منه ما تميل إليه نفوسهم من قصص الأبطال .

وكانت هذه الأوقات أيضاً فرصة لرجال الدين ليترددوا على أبنائهم فى بيوتهم يسمعونهم من هذه القصة ما تصبو إليه نفوس الشعب ، وما يرغب الكهنة فى ترديده من قصص تزيد من سلطانهم فيجزون عنها خير الجزاء .

وعمد يكونو- أملاك إلى الرسامين أيضاً ينقدهم مكافآت جزيلة فيقومون برسم تفاصيل هذه القصة فى صور صغيرة متلاحقة متلاصقة على قطع كبيرة من الجلد أو القماش أو الورق ، ويلونونها بالألوان الصارخة التى تستهوى الناس فيقبلون على شرائها . وما زال هؤلاء الرسامون يقومون بعملهم هذا حتى الآن . وقد تبلغ تفاصيل القصة من الكثرة درجة تؤهل الرسام لأن يرسم عدداً من الصور تبلغ المائة عداً يجعلونها خطوطاً منتظمة لتروى وقائع القصة فى إسهاب وتفصيل دون أن يتركوا منها شاردة ولا واردة .

ولم يكن يكونو أملاك فى هذا العمل مخترعاً ولا مبتدعاً ، فقد سبقه ملوك الأسرة الزاجوية فى وضع القصة ، بعد أن استندوا فى وضعها إلى ما جاء بالكتب السماوية من أصل تاريخى لزيارة من كانت تسمى بملكة سبأ لسليمان ملك بيت

المقدس فى عاصمته . ثم أكملوا القصة بما وجدوه فى كتب السير والقصص المتداولة ، واختاروا منها ما يشتهون . فاستند يكونو أملاك على هذه القصة : أخذ أكثرها ، وحذف منها ما لا يروقه أو يتفق مع غرضه ، وأضاف إليها أجزاء تتفق وهذا الغرض .

ولم يكن ما ورد فى الكتب السماوية ، ولا ما روته القصة الأولى ، هى المصدر الوحيد الذى استند عليه فى روايته لقصته وتأليفها ، بل كان هناك أيضاً ما يردده سكان أجزاء أخرى من إتيوبيا عن قصة ملكة « الحبشة » التى كانت حاملا ، ورأت عنزة سمينة فنظرت إليها واشتهتها ، وقالت : ما أسمن هذا الحيوان ! وما أسمن أقدامه ! ولما أتت أيامها ولدت طفلة جميلة ، إحدى قدميها قدم عنزة ، وعند ما كبرت هذه الفتاة وأصبحت تصلح للزواج أعرض عنها الناس بسبب قدمها ، وظلت هذه الفتاة عذراء حتى ارتقت العرش وسمعت عن سليمان وحكمته ومقدرته فى شفاء جميع الأمراض والعلل ، فأرادت أن تسافر إليه لأن إرادة الرب كانت أن يستمر ملك داود إلى نهاية العالم ، فقد أقسم الربّ لداود أن نسله لن يفنى ، وسيجلس هذا النسل على العرش ما دام يحافظ على اللوح

والشريعة ، وما أسهل أن يحمل هذا اللوح وهذه الشريعة إلى إتيوبيا !

وهذه القصة الجديدة لا تختلف عن القصة الثانية التى أوردناها فى أول هذا البحث إلا فى هذه المقدمة ، ويبدو أن واضع هذه القصة الجديدة رأى أن مقدمة الأولى عن بناء الهيكل ، ثم عن هذه الفتاة التى خلصها القديسون السبعة من الثعبان الشره ، مما لا يثير اهتمام الناس لما فيها من خرافة ظاهرة فأهملها واستبدل بها هذا «الوحم» الذى يصيب الحبالى فى الشرق وغير الشرق ، والذى يدفع بالنساء إلى طلب المستحيل مخافة أن يصيبهن ما أصاب هذه الفتاة .

ولم يكتف مؤلفو هذه القصة أيام يكونو أملاك بهذه المصادر ، بل اتخذوا أيضاً مما يردده المسلمون القاطنون فى شرق الحبشة عما ورد فى القرآن الكريم عن ملكة سبأ وزيارتها لسليمان ، فقد كانوا يضعون لهذه الملكة اسم بلقيس ، ويجعلونها ملكة على اليمن ، ويزيدون على ما ورد فى القرآن الكريم ما ردّده المفسرون والقصاص من أنها أرسلت هديتها الأولى إلى سليمان خمسمائة رجل وخمسمائة جارية بعد أن ألبست الرجال ملابس النساء والجوارى ملابس الرجال ،

وحملوا معهم خمسمائة أوقية من الذهب وتاجاً مرصعاً وقدراً كبيراً من المسك والعنبر والتوابل والأخشاب الثمينة ، وأسرع الهدهد إلى سيده ليخبره بما حدث وبأن سفارة من الملكة فى طريقها إليه ، فلما وصلوا استقبلهم سليمان فى ميدان فسيح يحيط به حائط حجارته من ذهب وفضة ، وأمرهم أن يعودوا من حيث أتوا ويقولوا لسيدتهم إن سليمان قادر على أن يرسل لهم جيشاً لا يقاوم . فلما عرفت بلقيس ذلك عولت على أن تذهب بنفسها لتقدم له خضوعها ، وخرجت تقصد أورشليم يصحبها جيش كبير ، وهناك وهبته نفسها ، وندمت على عبادتها للشمس وأسلمت .

وكان المصريون وبخاصة مسيحيوهم ورهبانهم الذين عاش بعضهم فى الأديرة الإتيوبية أو اختلط بهم الرهبان الإتيوبيون فى الأديرة المصرية ، يرددون ما جاء فى العهد القديم ، وما ذكره الشيخ المكين ابن العميد فى كتابه « التاريخ » من أن سليمان بن داود كان ثالث ملوك مملكة إسرائيل ، وأنه ملك أربعين سنة ، وأنه كان يقدم فى كل يوم على مذبح الرب ألف ذبيحة ، وأن الرب أعطاه ما طلبه من الحكمة كى يستطيع أن يحكم شعبه مفضلا إياها على الأموال الوفيرة

وطول العمر ، وأن الله مكنه من بناء الهيكل الذى حفظ فيه تابوت الرب ، وأن الملوك كانوا يسعون إليه كى يسمعوا الحكمة منه ، وأن ملكة سبأ سمعت عن حكمته فأتت إلى أورشليم ، ولكن الله غضب عليه لكثرة ما تزوّج من نساء غريبات وثنيات ولسماحه لهن أن يتعبدن لآلهتهن ، بل لقد بنى لهن المحرقات ليقدمن الذبائح لهذه الآلهة ، حتى لقد أقسم الربّ ليشقن ملكه من بعده ويصيره لغيره .

وكذلك كان البابليون يحتفظون أيضاً بلوح عليه صورة إلههم بعل ، وكان الإله يزور هذا المكان الذى فيه اللوح مرة كل عام كما يعتقدون ؛ بل كانوا يحتفلون بهذه الزيارة التى يقوم بها الإله فى يوم معين من العام ، فيقيمون المواكب الكبيرة الفخمة .

فمن هذه المواد مجتمعة ومن غيرها صاغ يكونو أملاك قصته الأخيرة ، وضمنها كتاب « كبرا نجست » الذى يحوى علاوة على هذه القصة أسماء ملوك إتيوبيا منذ أيام منليك بن سليمان . ويعتقد الإتيوبيون جميعاً فى صحة ما جاء فى هذا الكتاب اعتقاداً لا يعتوره أىّ شكّ .

وهناك من المؤرخين من يقول إن إنشاء قصة زيارة ملكة

سبأ إلى بيت المقدس تعود إلى عصور سابقة لهذا كله ، إذ يرجعونها إلى القرن السادس الميلادى ، بل يقولون إنها وضعت أصلا بالقبطية بواسطة راهب قبطى عاش فى مصر أو أكسوم أو أى جزء آخر من إتيوبيا ، وإنها ترجمت إلى العربية أولا فى عصور تالية ثم إلى الحبشية فى القرن الثالث عشر ، وإنه قد أضيفت إليها فى أثناء الترجمة إلى العربية زيادات من مصادر عربية أو إسلامية . بل هناك من يؤيد نصف هذا الرأى ويقول إن الترجمة من العربية إلى الحبشية كانت سابقة للقرن الثالث عشر ، ويحدد لها مدة حكم لاليبالا ، سابع ملوك الأسرة الزاجوية . وسواء أكان هذا الرأى أم ذاك فهو لاينفى ما ذهبنا إليه بل يؤيده ماذكرناه من أن ملوك الأسرة الزاجوية هم أول من اهتم بهذه القصة وعمل على تدوينها ونشرها ، وتابعهم فى هذا التدوين والنشر ملوك الأسرة السليمانية الجديدة فى القرن الثالث عشر . وكان وضع ملوك الأسرة الزاجوية لها بالصورة التى تروق لهم وتتفق مع أهدافهم ، كما كان اهتمام ملوك الأسرة السليمانية بها فى القرن الثالث عشر ، أى يكونو أملاك أو ابنه على أكثر تقدير . ولا بد أن يكون هناك جزء مشترك بين القصتين .

ويذهب إلى هذا الرأى كثير من المؤرخين ، ويقولون إن الصياغة النهائية لهذه القصة أو الترجمة إلى الحبشية سواء من القبطية مباشرة أو من العربية لم تتما إلا عقب نجاح يكونو أملاك فيما أسماه « عودة » الأسرة السليمانية ؛ ويؤيدون قضيتهم مستندين إلى أن بعض تعبيرات قصة « كبرانجست » تثبت النص العربى الذى ترجمت منه ، بل يؤكدون أن هذه الترجمة من العربية تمت على يد أبى الفرج بن العسال الذى عاش فى مصر فى القرن الثالث عشر تحت إشراف قس إتيوبى يدعى إسحق استطاع أن يدس إلى الأصل العربى بعض إضافات لتعطى القصة أهمية لم تكن لها . .

٩

وبعد أن أتم الإتيوبيون وضع القصة على الصورة التى يشتهونها والتى تتفق مع أغراضهم اجتهدوا فى أن يجعلوا مظاهر دولتهم ومراسمها تتفق مع ما جاء بهذه القصة ، فبالغوا فى المحافظة على مظاهر خاصة من أجل أن يجعلوا انتسابهم إلى سليمان بن داود أمراً مفروغاً منه ، وراعوا أن تنطبق هذه

المظاهر على ما كان يحدث أيام هذا الملك ، فيقولون إن من عادة أباطرة إتيوبيا إذا ما ارتقى أحدهم العرش أن يخرج فيستقبله الجيش والشعب بالأعلام الملكية داعين له بالسعادة والأيام المليئة بالهناءة ، فيبادر هذا ويطلب من المطران تتويجه كي يحصل على السند الشرعي بجانب السند الفعلي .

ونحن نجد في مظاهر هذا التتويج التي كانت متبعة حتى أواخر القرن الثامن عشر ، والتي يصفها لنا بروس الرحالة الإسكتلندي انطباقاً يكاد يكون تامّاً على ما كان يحدث أيام سليمان وروته لنا الكتب المقدسة ، إذ كان الإمبراطور يخرج من قصره راكباً بغلته يقصد الكنيسة وهي مهيأة لهذه المناسبة مفروشة بالبسط ، وفي صدرها العرش الملكي تحت صورة كبيرة للقديس جورجيس أو الملاك ميخائيل ، ويحيط به القضاة والأشراف ، ثم يأتي المطران — وهو رئيس الكهنة — فيمسح رأسه بالزيت المقدس ، ويضع التاج على مفرقيه وهو يقول : « مات الملك ، عاش ملكنا » ، فيصيح الرجال علامة الفرح ، ويتقدمون فيقبلون يده ، في حين يكون الفناء الخارجي يعج بالحرس والشعب . وبعد انتهاء الاحتفال يغادر الأشراف المكان وهم يقرعون الطبول لإعلان الخبر الجديد إلى بقية

الولايات بطريقة غير منتظمة ، حتى إذا تم هذا أصبح فى استطاعة الملك ومن حقه دون أى اعتراض من أحد أن يعزل من يشاء من أصحاب المناصب ، وبخاصة مناصب القصر ، ويعين فيها من يشاء من أصحابه .

ونحن نجد مظاهر التتويج أيام سليمان كما جاءت فى العهد القديم قريبة من هذا ، فقد جاء فى الإصحاح الأول من سفر الملوك الأول بشأن تتويج سليمان : « فنزل صادوق الكاهن وناتان وبناياهو بن يهوداع والجلادون والسعاة ، وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود ، وذهبوا إلى جيحون — لأن الهيكل لم يكن قد بنى بعد — فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة — وهى التى كانت حتى ذلك الوقت بمثابة الهيكل — ومسح سليمان ، وضربوا بالأبواق ، وقال جميع الشعب : ليحيي الملك سليمان . وصعد جميع الشعب وراءه ، وكان الشعب يضربون الناى ويفرحون فرحاً عظيماً حتى لقد انشقت الأرض من أصواتهم » .

بل حرص أباطرة إتيوبيا إلى عهد قريب جداً على أن يكون تتويجهم فى مدينة أكسوم حيث يحتفظون بتابوت العهد ، فصارت تعرف باسم المدينة المقدسة . وما زالت تيجان كثيرين

من هؤلاء الأباطرة محفوظة هناك . وكانوا يختارون لأنفسهم عقب التتويج أسماء جديدة يعرفون بها كما اختار سليمان لابنه اسم منليك .

وكذلك عنى الإتيوبيون بإكمال هذا التشابه ، فعين الإمبراطور اثنى عشر قاضياً ليكوّنوا مجلس القضاة ، وكان هذا المجلس مختصاً بالنظر فى القضايا الكبيرة ، كما كان بمثابة مجلس استشارى يستشيره الإمبراطور فى أمور الدولة ، وبخاصة ما كان متعلقاً بالدخول فى المعارك الكبرى أو عقد المعاهدات ، وإن كان الإمبراطور غير ملزم باتباع ما يستقر عليه رأى المجلس أو رأى أغلبية أعضائه ، بل كان يملك حق مخالفته وتنفيذ ما يراه . وقد ظل الإتيوبيون طوال تاريخهم لا يزيدون عدد أعضاء هذا المجلس واحداً ولا ينقصونه واحداً . بل ظل كما هو اثنى عشر عضواً ، كما ظل الإمبراطور يحمل لقب « الأسد المنتصر ، الخارج من سبط يهوذا ، المختار من الله ، ملك ملوك إتيوبيا » .

وإذا كان الإمبراطور حينما منح شعبه الدستور الأول فى سنة ١٩٣١ لم ينص فيه على وجود مجلس القضاة ذى الاثنى عشر عضواً ، فلم يكن هذا يعنى إلغاءه ، بل ظل قائماً

يسدى المشورة إلى الملك كلما دعاه الإمبراطور إلى الاجتماع وطلب النصيحة منه . أما فى الدستور الثانى فقد أضاف الإمبراطور إلى المجلس المطران وأسماه مجلس التاج وجعل أعضاءه جميعاً معينين ، وجعل منه أداة يستشيرها فى المسائل ذات الخطورة ، بل فى أخطر شؤون الدولة . مثل رغبة الإمبراطور فى نزع ولاية العهد من أكبر أبنائه واختياره آخر ليخلفه على العرش إذا كان الابن الأكبر غير مستطيع تحمل أعباء الملك لقصور فيه . وجعل الحكم على كفاية ولى العهد محصوراً فى يد الإمبراطور بعد استشارة مجلس التاج .

كما عنى الإمبراطور أيضاً أن يعين له إلى جانب الحاشية المدنية حاشية أخرى دينية لها ما للحاشية المدنية من السلطة والنفوذ ، وكان يرأسها الاتشيجى الذى هو كما ذكرنا كبير الرهبان الإتيوبيين ثم يليه « الأكابى ساعات» وهو الموكل بالمحافظة على المعتقدات وتتبع الخارجين ومحاكمتهم ، والحكم عليهم وتنفيذ الحكم ؛ وإن كان هذا المنصب لم يخلق إلا أيام الأمبراطور زرء يعقوب فى القرن الخامس عشر .

وكذلك عنى الإتيوبيون بأن يحافظوا على الكنيسة المستديرة

الشكل التى تشبه خيمة الاجتماع يتوسطها قدس الأقداس الذى لا يدخله إلا الكهنة والملك والأشراف ، ثم القسم الأوسط الذى يدخله رؤساء الشعب ، وهم الذين يمثلون رؤساء القبائل التى كانت تتكون منها مملكة سليمان ؛ ثم القسم الخارجى الذى يقف فيه الشعب ، بشرط أن يكون الواحد منهم مستحقاً أن يقف فيه ، أى متطهراً لم يرتكب إثماً ؛ أما من يجد نفسه غير مستحق لأن يقف فى أحد هذه الأقسام فعليه أن يقف خارج أسوار الكنيسة ، ولو كان فى الكنيسة مكان له . وكانت الكنيسة تشبه أيضاً هيكل الرب الذى بناه سليمان حين « هيأ محراباً فى وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الربّ » ، كما جاء فى الاصحاح السادس من سفر الملوك الأول .

كما حافظ الإتيوبيون على أن يظلوا فى الكنيسة وقوفاً ، فبرغم أن جميع الكنائس المسيحية ، ومنها كنيسة مصر التى يتبعونها ، قد أدخلت نظام الجلوس فى غير الهيكل ، إلا أن الإتيوبيين وحدهم ظلوا يحافظون على الوقوف رغبة فى التشبه بنظام الهيكل القديم . ومراعاة لهذا التشبه أيضا ظل الإتيوبيون يحافظون — على استعمال بعض الآلات الموسيقية فى بعض احتفالاتهم

الدينية كالطبول والسسترون وغيرهما ؛ كما حافظ الرهبان على الرقص أيضاً فى بعض الاحتفالات لأن كهنة أورشليم كانوا يزاولون هذه العادة فى احتفالاتهم ، بل إن سليمان وداود كانا يرقصان فى هيكل الرب أمام المذبح تمجيداً له .

بل ما زال الإتيوبيون حتى الآن يميلون إلى ترتيل المزامير أكثر من أى جزء آخر من أجزاء الكتاب المقدس ، فيحفظونها عن ظهر قلب ، أكثر مما يحفظون من أى جزء آخر ، ويقبلون على نسخها فى الأديرة أكثر من أى جزء آخر ، كما يقبل الناس على شرائها وحيازتها أكثر مما يقبلون على شراء أى جزء آخر من أجزاء الكتاب بعهديه القديم والجديد .

ويجوز لنا أن نقول أيضاً إنه من أجل إكمال التشابه بين مملكة إتيوبيا ومملكة أورشليم لم يحاول أحد من الأباطرة أن يضع نظاماً ثابتاً من أجل توارث العرش ، ومن ثم أصبح هذا التوارث — وإن كان محصوراً فى نسل منليك بن سليمان ومتجهاً إلى الابن الأكبر للجالس على العرش أمراً نظرياً فقط ، وقلما كان يحدث من الوجهة الفعلية أو الواقعية ؛ فوراثة الابن الأكبر لأبيه الجالس على العرش نادرة ، فقد حدث فى أكثر من مرة أن فضل الابن الأصغر على الأكبر ،

كما اتجهت الوراثة فى بعض الأحيان إلى الأخ أو العم ، ثم تعود بعد فترة طويلة إلى الابن ، وربما كانت القاعدة الوحيدة التى أخذ بها هى مبدأ القوة ، أى أن العرش كان دائماً من نصيب الأقوى الذى يستطيع التغلب على المتنافسين ؛ كما كانت القاعدة أيضاً أن يبادر الجالس على العرش بالقبض على كل من كانت هناك شبهة فى ارتقائه العرش من الإخوة والأعمام وقتلهم ، أو على الأقل الزج بهم فى السجون وحراستهم حراسة قوية ، حتى إذا جاء الدستور الأخير نص على وجوب تسلسل الوراثة فى أبناء الذكور دون أبناء الإناث ، وفى الابن الأكبر دون الأصغر ، إلا أنه فى الوقت نفسه ترك للإمبراطور حق اختيار ولى عهد آخر غير ولى العهد الشرعى ، على أن يأخذ بذلك إذناً من مجلس التاج بعد أن يتبين كل من المجلس والإمبراطور أن هناك من الأسباب ما يمنع ولى العهد من القيام بوظيفة الملك خير قيام ، لمرض أو غيره من الأسباب التى تعوقه عن مباشرة وظيفته . ولا يشترط فى هذا المختار إلا أن يكون من أقرب الذكور إلى الإمبراطور ومن النسل المباشر للإمبراطور سهلا سلاسى الجد الأكبر للإمبراطور الحالى ، على أن يقسم عند اختياره بأن يراقب تصرفات الإمبراطور

الجالس على العرش ويحترم رغباته ولا يحيد عنها .

ويبدو أن هذا كله وإن كان متفقاً مع التقاليد الإتيوبية إلا أنه وضع أيضاً من أجل إكمال التشابه بين السلطة الإمبراطورية فى إتيوبيا والسلطة الملكية التى كانت لداود ونسله من بعده ، فقد جاء فى سفر الملوك أن داود اختار سليمان لوراثته فى العرش دون أن يكون سليمان هذا أكبر أبنائه ، فقد حدث أن أدونيا وهو الابن الثانى لداود لما رأى كبر أبيه وعجزه عن القيام بأعباء الملك أراد أن يتعجل الأمر لنفسه ، فأعد عجلات وفرساناً واتفق مع إبياثار الكاهن على أن يولم أدونيا وليمة يعلن بعدها جلوسه على العرش مكان أبيه ، فسمعت أم سليمان بذلك . فذهبت إلى داود وذكرته بوعده الذى كان قد بذله لها أن يملك ابنها سليمان من بعده ، فأمر داود أن يدعى له صادوق الكاهن وناثان النبى وبناياهو بن يهوداع وأمرهم أن يأخذوا معهم عبيد الملك ، ويركبوا سليمان — وكان أصغر أولاده — على بغلته ، وينزلوا به إلى جيحون حيث يمسحه صادوق الكاهن وناثان النبى ملكاً . وسمع بذلك أدونيا فاغتاظ ولكنه سلم بالأمر ورضخ له ، بل انطلق وأمسك بقرون المذبح خائفاً أن يقتله أخوه ، ولكن سليمان عفا عنه ، ثم لم يتردد بعد

ذلك فى قتله عند ما رأى منه ما يخالف التقاليد . بل لم يتردد عن أن يعزل أو يقتل كل من يشتم منه روح الثورة عليه من أنصار أخيه ، كما فعل مع أبياثار الكاهن الذى صرفه عن أن يكون كاهناً للرب ، وقتل أيضاً بوآب قائد الجيش برغم التجائه واستجارته ببيت الرب وقرون المذبح ــ قتله وهو داخل الهيكل . وعين بناياهو بن يهوداع قائداً للجيش مكانه ، كما وضع صادوق مكان أبياثار ، وحدد إقامة شمعى أحد أعوان أخيه فى مكان خلف وادى قدرون فى مدينة أورشليم وهدده بالموت إن ترك مكانه ، ثم قتله حين سمع أنه أخل بعهده . وكان الشعب يرى كل ذلك حقًّا من حقوق الملك لا يجادله فيها . وما زال الشعب الإتيوبى يرى فى أشباه هذا العمل حقا من حقوق الإمبراطور .

١٠

ويعنى كتاب « كبرانجست » (سير الملوك) بذكر قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان ملك بيت المقدس ويتخذها بدءاً لتاريخ إتيوبيا ، ثم يتدرج إلى ذكر منليك الأول وارتقائه

العرش خلفاً اوالدته ، ثم يذكر بعد ذلك أسماء الملوك الذين تولوا العرش الإتيوبى ، ولكن الشك يعتور كل أجزاء هذه السير أيضاً كما اعتور القصة من قبل ، إذ لدينا من هذا الكتاب نسخ متعددة يختلف بعضها عن بعض ، فبينما يذكر بروس الرحالة الإسكتلندى الذى ساح فى بعض أجزاء إتيوبيا فى أواخر القرن الثامن عشر وحصل على نسخة من هذا الكتاب أن عدد الملوك الذين حكموا إتيوبيا منذ عصر منليك حتى عصر بازن ، وهو الملك الذى عاصر ميلاد المسيح ، اثنان وعشرون ملكاً . ذكر أسماءهم نقلا عن النسخة التى اطلع عليها ، يذكر لنا صولت الذى ساح أيضاً فى إتيوبيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنهم سبعة عشر ملكاً ، وتذكر المخطوطة الخاصة بذلك والموجودة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٢٨١ فى صفحتها رقم ٢٨ ب أنهم واحد وعشرون ، وتذكر مخطوطة أخرى بنفس المتحف تحت رقم ٨٢١ أنهم ستة وعشرون. وسواء أكانوا واحداً وعشرين أو اثنين وعشرين أو سبعة عشر أو ستة وعشرين ، فلن يستريح عقل باحث إلى أن يكون عدد الذين حكموا البلاد طيلة تسعة قرون هذا العدد اليسير من الملوك ، مما يجعل متوسط حكم كل منهم لا يقل

عن خمس وأربعين سنة ، وهو رقم لا يستطيع عقل بشر أن يسلم به . والمعقول أن يتولى خلال هذه المدة سبعون ملكاً متوسط حكم كل منهم خمس عشرة سنة ، فإذا كانت هذه الأسماء المذكورة بعض أسماء من تولوا الحكم فأين ذهبت بقية الأسماء ، لا سيما وأن الأسماء التى ذكرت لم تقرن بأية معلومات عنها ؟ وإذا كانت بعض هذه الأسماء قد ضاعت فمن يضمن لنا أن ما بقى من هذه الأسماء لم تمتد إليه يد التغيير أو التقديم أو التأخير ؟ بل أين المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذه الأسماء دون غيرها ؟ هذا إلى أن بعض أسماء هؤلاء الملوك تختلف فى كشف عنها فى آخر ، سواء من حيث حقيقة الاسم أو الترتيب . فالشك إذن يعتور كل ما جاز بهذه الأجزاء كما يعتور غيرها ؛ وما دام الشك قد قام حول جزء من الرواية دون أن يجد ما ينفيه أو يؤيده فما زال الشك قائماً على بقيتها إلى أن يجد أيضاً ما يدحضه أو يؤيده .

ويمضى الكتاب بعد ذلك فيذكر أيضاً أسماء ملوك يقول إنهم حكموا البلاد منذ عهد بازن حتى حكم عيزانا فى القرن الرابع . ويكاد حكم عيزانا يقطع بصحة زمانه ومكانه ووقائعه بما عثر عليه من نقوش أتينا على بعضها . وقد ذكر الرحالة

بروس أيضاً أن هؤلاء الملوك الذين حكموا خلال هذه المدة كانوا ثلاثة عشر ملكاً ، فى حين تذكر وثيقة المتحف البريطانى الأولى أنهم كانوا أحد عشر . وما قيل عن ملوك الفترة الأولى يمكن أن يقال عن ملوك هذه الفترة أيضاً من أن متوسط حكم كل واحد منهم كبير إلى حد يدعو إلى الشك أيضاً . ويمضى الكتاب فيذكر أسماء تلو أسماء حتى القرن العاشر الميلادى ، ثم يقول إنه بعد الملك دل نآد انتقل العرش إلى أسرة أخرى من غير أبناء سليمان ، يطلق عليهم اسم زاجوا . . .

ونحن لا نعرف من أين أتت كلمة زاجوا ، فليس فى الأسماء التى ذكرت فى كتاب سير الملوك اسم لملك يسمى زاجوا حتى ينتسب الملوك إليه ، ولكن جويدى يقول إنه تحريف لكلمة بنى الحجوية أو الأجوية ؛ ويقول إن هذه الكلمة وردت فى رسالة عربية كتبها ملك إتيوبيا إلى جورج ملك النوبة يسأله التوسط لدى فيلوتاوس بطريرك الإسكندرية (٩٨١ – ١٠٠٢) كى يرسل مطراناً إلى إتيوبيا إذ أنها محرومة من ذلك منذ زمن طويل بسبب وجود ملكة غزت المدن وأحرقتها وخربت الكنائس ، وهذه الملكة من بنى الحجوبة

أو الأجوية . . .

وقصة حرق جوديت للكنائس والأديرة وتخريبها للبلاد لا يذكره « كبرانجست » ، إذ أنه مقصور على ذكر أسماء ملوك هذه الأسرة دون أية أعمال تنسب إليهم .

وقد اعتور الشك أيضاً نسبة هذه الملكة إلى أسرة زاجوا ، فقد اختلف المؤرخون فى ذلك كما اختلفوا فى أسماء ملوك هذه الأسرة . فلا يذكر « كبرانجست » إلا أحد عشر ملكاً بعد جوديت ، ومعنى ذلك أن هؤلاء الملوك حكموا ٣٥٤ سنة ، أى أن متوسط حكم كل واحد منهم يمتد إلى اثنتين وثلاثين سنة بل إن ثمانية من هؤلاء الملوك يرتفعون إلى أربعين سنة ، وهى مدة يتطرق إليها كل الشك .

ويقسم بروس هؤلاء الملوك إلى قسمين ، ويجعل القسم الأول خمسة ملوك ، ويقول إنهم كانوا يهودا يمتون بصلة القربى إلى جوديت . أما الستة الآخرون فمسيحيون وينتسبون إلى مقاطعة لاستا . وتذكر مخطوطة أخرى فى متحف باريس تحمل رقم ٦٤ أن ملوك الزاجوا كانوا خمسة فقط ، وأنهم حكموا من ١١٤٥ إلى ١٢٦٨ ، وأنهم كانوا جميعاً مسيحيين ، وربما تكون هذه المخطوطة هى التى أوحت إلى بروس برأيه . . .

ومهما اختلف المؤرخون فى أسماء ملوك أسرة زاجوا أو عددهم فإنهم يجمعون على أن تكلاهيمانوت هو الذى خلف جوديت ، وأنه هو الذى أعاد المسيحية إلى البلاد بعد أن كتب إلى مصر يطلب مطراناً . فلا بد أن يكون هو الذى كتب إلى جورج ملك النوبة .

فمن ذلك نرى أن الشك قد اعتور سلسلة الملوك الذين تعاقبوا على العرش الإتيوبى من منليك الأول ؛ فهل يكون بعد ذلك عجب إذا سرى هذا الشك أيضاً إلى القصة من أولها إلى آخرها ، ولم يترك لنا إلا الجزء الأول منها الذى يروى لنا خبر زيارة من تدعى ملكة سبأ لسليمان ، مما يجعلنا نكاد نجزم أن الإتيوبيين قد اتخذوا هذا الأساس الدينى الثابت أساساً لهذه القصة القومية التى تروى أمجاد تاريخهم وتعطيهم الأساس الذى ينتسب إليه ملوكهم .

١١

ولم تكن مخطوطة «كبرانجست» أو قصتها معروفة فى أوربا حتى الربع الثانى من القرن السادس عشر ، حين بدأ

الدارسون يهتمون بأرض « القديس حنا » بعد أن قرأوا عنها ما كتبه « فرنسسكو ألفارز » الذى كان مبعوثاً للملك إيمانويل ملك البرتغال إلى الملك داود . وكانت هذه البعثة برئاسة « دريجو دى ليما » فيما بين سنتى ١٥٢٠ و ١٥٢٧ ، فمن بين الوثائق الخاصة بهذه البعثة ذكر ألفارز سجلا بأسماء ملوك إتيوبيا بالإضافة إلى ما ذكره عن أحوال وعادات الشعب فى كتابه الذى ظهر فى سنة ١٥٤٠ باسم « القديس جون الهندى » .

وتلا ذلك أن نشر Godinho بعض قصة الملك سليمان وابنه منليك وذكر أنه اقتبسها من « كبرانجست » ، وفى سنة ١٥٨٠ نشر القس اليسوعى ما نويل الميدا كتابه عن « تاريخ إتيوبيا العام » ، وكان مانويل الميدا هذا قد أرسل مبعوثاً إلى إتيوبيا فى أكثر من فرصة لأجل دراسة كتاب « كبرانجست » مباشرة ، ولذا كان كتابه هذا كبير القيمة ، وقد أرسل أخوه أبوليناری من بعده إلى إتيوبيا أيضاً إلا أنه رجم هو وزميلان له حتى الموت فى تجرى .

وإذا ما جاء Tellez فى نهاية القرن السابع عشر وكتب « التاريخ العام لإتيوبيا القديمة » أو القديس جون ، أعطانا

تفصيلات كثيرة عن محتويات « سير الملوك » وقد اعتمد فى كتابته على ما كتبه من سبقوه من أمثال مانويل الميدا وألفونسو منيدز وجودنهو والأب بايز ؛ وأشار إلى كتاب Tellez عدة مرات جون لودلفس حين كتب كتابه « تاريخ إتيوبيا » الذى نشره فى فرنكفورت سنة ١٦٨١ . ومن الواضح أنه لم يطلع على نسخة أصلية من القصة إلا أنه اعتبرها كلها خرافية .

وعاد الظلام يخيم مرة أخرى على إتيوبيا وعلى قصة « كبرانجست » حتى نهاية القرن الثامن عشر حين أشار إليها جيمس بروس الرحالة الإسكتلندى فى كتابه « رحلات لكشف منابع النيل » ، فقد أهدى إليه الرأس ميخائيل وزير الملك تكلاهيمانوت عند مبارحته إتيوبيا بعض المخطوطات الإتيوبية الثمينة كان من بينها نسخة من « كبرانجست » وأشار له إلى أهميتها . كان بروس قد سمع عن هذه الأهمية حين مكث فى إتيوبيا ، وعرف مقدار تقدير الإتيوبيين لها ، حتى إذا كانت الطبعة الثالثة من كتابه ضمنه القصة كاملة . فكان أول نشر لها كاملة فى لغة أوروبية ؛ ثم أهدى بروس هذه المخطوطات إلى مكتبة بلاودن فحفظها باسم مجموعة بروس رقم ٩٣ ، ٨٧ ، فكان ذلك بداية دراسة هذه القصة على نطاق واسع .

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠

دار المعارف بمصر

تقدم إلى جمهور المثقفين هذه الكتب التاريخية القيمة

فى مكتبة الدراسات التاريخية :

الكتاب	المؤلف	صفحة	الثمن
مصر والسودان	للدكتور أحمد فؤاد شكرى	٦٣٦	١٥٠ قرشاً
الدولة العربية الكبرى	للأستاذ محمود كامل	٦٢٤	١٢٠ «
العرب فى صقلية .	للأستاذ إحسان عباس	٣٣٢	٥٠ «
سيف الدولة وعصر الحمدانيين	للأستاذ سامى الكيالى	٢٣٦	٤٠ «
تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى	للدكتور على حسن الخربوطلى	٤٥٠	٩٠ «
تاريخ الطباعة فى الشرق العربى	للدكتور خليل صابات	٣٦٠	٦٠ «
الهيلينية فى مصر	للأستاذ زكى حسن	٢٤٤	٦٠ «

وفى مجموعة أعلام التاريخ :

الكتاب	المؤلف	صفحة	الثمن
الملكة فيكتوريا	ترجمة الأستاذ وديع الضبع	٤٤٨	٤٠ «
نابليون	ترجمة الأستاذين محمد مصطفى زيادة ومحمد نوفل	٣١٢	
كليوباترة	ترجمة الأستاذ عادل زعيتر	٤٩٦	
متزينى	للأستاذ على أدهم	٢٦٨	
أبراهام لنكولن	للأستاذ وديع الضبع	٢٨٨	
سن ياتسن أبو الصين	للأستاذ عباس محمود العقاد	٣٠٢	

دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع

نوفمبر ١٩٦٠

الثمن